روايات مصرية للجيب

قضية جامع الطوابع

سلسلة الفاز بوليسية مثيرة للناشئين

١١

Looloo
www.dvd4arab.com

١ ــ جريمة طابع بريد ..

انهمك (صادق حسّان) ، صاحب واحد من أكبر متاجر الطوابع التذكارية فى القاهرة ، فى ترتيب بعض طوابعه وتنسيقها ، حينما اقترب منه مساعده (أشرف) ، وقال فى صوت خافت ، وكأنه يخشى إزعاج رئيسه :

ــ لقد أعلنت السّاعة منتصف الليل يا سيّد (صادق) .. ألن تنصرف ؟

رفع (صادق) عينيه إليه فى شرود ، ثم هتف بعد لحظة من الصمت :

ــ لا يا (أشرف) .. انصرف أنت ، أمّا أنا فما زال أمامى بعض العمل .

تردّد (أشرف) لحظة ، ثم قال :

ــ هل أُعدّ لك فنجانا من القهوة ؟

لوّح (صادق) بكفّه ، وهو يغمغم :

ــ لا يا (أشرف) .. شكرا لك .

ثم غمغم فى خفوت ، أقرب إلى الهمس :

ـ يا للرَوْعة !!

عقد (أشرف) حاجبيه ، وهو يسأله فى دهشة :

ـ هل تتحدّث إلىّ يا سيّدى ؟

ابتسم (صادق) وهو يقول :

ـ لا يا (أشرف) .. لقد كنت أتأمّل أول طابع بريد فى العالم .

رفع (أشرف) حاجبيه فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ أول طابع بريد ؟! .. لا ريْب أنه شىء رائع .

التقط (صادق) بملقطه مربّعًا من الورق ، صغير الحجم ، له لون أسود . يظهر إلى حدّ ما تلك الصورة المرسومة فوقه ، وهو يقول فى انبهار :

ـ انظرْ إليه يا (أشرف) .. لقد صُوّر فى السادس من مايو ، عام ألف وثمانمائة وأربعين ، بناءً على اقتراح من سير (رولاند هيل) ، لإيجاد وسيلة دقيقة ومضمونة ، للحصول على أتعاب نقل الخطابات . وهو يحمل صورة الملكة (فيكتوريا) ، ملكة الجزر البريطانيّة ، فى ذلك الحين . ولقد صدرت منه طبعة

سوداء ، وهى التى تراها أمامك ، وثمنها بنس واحد ، وأخرى زرقاء ، وثمنها بنسان(*) .

حدّق (أشرف) فى المربّع الورقىّ الصغير باهتمام بالغ ، وهو يغمغم فى دهشة :

ـ بنس واحد ؟! .. يا له من ثمن بخس !!

هتف (صادق) فى استنكار :

ـ لقد كان ذلك ثمنه منذ قرن ونصف أيّها الأحمق .

وعاد يتأمّل الطابع مرّة ثانية فى اهتمام ، وهو يستطرد فى لهجة حالمة :

ـ أمّا الآن ، فهو يساوى مليون جنيه على الأقل .

اتّسعت عينا (أشرف) ، وهو يهتف فى دهشة :

ـ مليون جنيه ؟! .. ولكنه ثمن مذهل !!

تهلّلت أسارير (صادق) ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح .. والأطرف أننى حصلت عليه مقابل مائة ألف جنيه فقط .

ثم مال نحو (أشرف) ، وهمس ، وكأنه يلقى سرًّا خطيرًا :

(*) حقيقة تاريخية .

ـ ولقد كشفت أن واحدا من أكبر عملائنا لايفقه شيئا عن قيمة طوابع البريد الحقيقية ، وأنه يقتنى الآلاف منها فى جهل

سأله (أشرف) فى اهتمام وفضول :

ـ كيف ؟!

لوّح (صادق) بكفّه ، وقال :

ـ هذا لا يهم .. المهم أنّنى عرضت هذا الطابع على عميل كبير لنا ، وهو مستعد لشرائه بالمبلغ الذى أطلبه .

هتف (أشرف) فى دهشة :

ـ مليون جنيه ؟!

ابتسم (صادق) فى خبث ، وهو يقول :

ـ إنّنى لم أخبره بالثمن بعد .. ولكنه سيدفع .. أنا أعرفه جيّدا .

زفر (أشرف) فى قوّة ، وكأنما يلقى الانفعالات التى يموج بها صدره خارجه ، ثم غمغم فى خفوت :

ـ هل تسمح لى بالانصراف يا سيّدى ؟

لوّح (صادق) بكفّه ، وهو يهتف :

ـ كما يحلو لك .. أمّا أنا فسأنتظر عميل المليون جنيه .

وعاد ينهمك فى تنسيق طوابعه ، وترتيبها ، متجاهلا (أشرف) ، الذى ارتدى سترته ، وصاح :

ـ إلى اللقاء باكرا يا سيّد (صادق) .

ولمّا لم يتلقّ (أشرف) جوابا ، ابتسم فى ضجر ، وغادر المتجر ، وساد السّكون طويلا ، إلّا من صوت بعض أقدام تعبر الإفريز ، أمام المتجر ، ثم تحرّك بابه فى هدوء ، وخطا رجل إلى داخله فى خفّة ، وأغلق الباب خلفه ، ثم سار فى خطوات صامتة إلى حيث يجلس (صادق) ، وقال بعد فترة من الصمت :

ـ أهو طابع أصلىّ ؟

انتفض جسد (صادق) فى قوّة ، وقفز من مقعده فى ذُعر ، ثم تنهّد وهو يقول فى حدّة :

ـ لقد أفزعتنى يا سيّدى .. ألم يكن بإمكانك دقّ الباب أوّلا ؟

تجاهل الرجل عبارته ، وهو يقول فى برود :

ـ أين الطابع يا (صادق) ؟

تألّقت عينا (صادق) فى خبث ، وهو يقول :

ـ أىّ طابع ؟

عقد الرجل حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة يخالطها بعض الغضب :

ــ أوّل طابع بريد فى العالم .

انتقل خبث (صادق) إلى ابتسامته ، وهو يقول فى هدوء :

ــ هل تريد شراءه ؟

تضاعف الغضب فى ملامح الرجل ، وهو يقول فى حدّة :

ــ أين الطابع ؟

أجابه (صادق) فى برود :

ــ مليون جنيه .

اتّسعتْ عينا الرجل فى دهشة ، وهو يهتف :

ــ مليون جنيه ؟!

هتف (صادق) فى لهجة تفوح بالدهاء والطّمع :

ــ نعم .. هذا الطّابع يساوى مليون جنيه ، ولن أبيعه بأقلّ من ذلك قرشًا واحدًا .

التقى حاجبا الرجل فى سخط ، وهو يغمغم :

ــ أيُّها السّارق .

أطلق (صادق) ضحكة ساخرة ، وقال :

ــ هذا ما يساويه بالفعل يا سيّدى .

ثمّ أشاح بوجهه ، مواصلًا انهماكه فى تنسيق الطوابع الأخرى ، وهو يبتسم ابتسامة ملؤها الخبث والدّهاء ، فى حين وقف الرجل يحدّق فى ظهره بحَنق ، ثمّ لم يلبث أن حلّ رباط عنقه فى هدوء ، وتلفّت حوله ، ليتأكّد من أنّ أحدًا لا يمكنه أن يراه فى ذلك الركن المظلم ، واقترب من (صادق) ، الذى يوليه ظهره ، وقال فى بطء وعُمْق :

ــ إذن فهو يساوى مليون جنيه .. إنه أصلى إذن .

غمغم (صادق) فى هدوء ، ودون أن يلتفت إليه :

ــ مائة فى المائة .. إنّه طابع رائع .. سليم تمامًا ، ثم إنه يحمل أوّل خاتم بريدىّ فى العالم ، وهذا يجعله نادرًا و ..

وفجأة أحاط الرجل عنق (صادق) برباط عنقه هو ، وجذب طرفيه فى قوّة ، ليعتصر عنق تاجر الطوابع ، الذى جحظت عيناه من فرْط المفاجأة والذعر ، ورفع كفّيه محاولًا تخليص عنقه من ذلك القاتل ، إلّا أنّ الرجل زاد من قوّة جذبه لطرفى رباط العنق ، الذى انغرز فى عنق (صادق) ، وهو يقول فى حنق :

ــ أنت تستحقّ ذلك يا (صادق) .. تستحقّه .

وفجأة أحاط الرجل عنق « صادق » برباط عنقه هو ،
وجذب طرفيه فى قوة

حاول (صادق) أن يقاوم فى يأس وشراسة ، فراح يضرب الهواء بذراعيه ، ويُطلق من فمه حشرجة مكتومة ، وأدّت محاولته إلى سقوط بعض الطوابع على أرضيّة المَتْجر ، والرجل يجذب طرفى رباط العنق ، ويجذب ، ويجذب ..

وتوقّفت مقاومة (صادق) ، وتراخى جسده ، وجحظت عيناه فى شدّة ، ثم سقط رأسه على صدره .

كان قد لفظ أنفاسه الأخيرة ..

كان قد قُتل من أجل طابع بريد ..

من أجل أوّل طابع بريد فى العالم .

* * *

٢ ــ وراء الحادث ..

قفز الصحفىّ (عصام) من السيارة التى أقلّته إلى مكان الحادث ، ونقد سائقها أجره ، ثم أسرع إلى المتجر فى نشاط ، ومدّ يده يصافح الضُباط الواقفين أمامه ، وهو يقول فى لهجة روتينيّة سريعة :

ــ (عصام كامـــــل) ، محرّر بقسم الحوادث ، فى صحيفة ...

قاطعه الضابط فى ضجر :

ــ يمكنك الدخول يا سيّد (عصام) .. لقد انتهى رجال البحث الجنائىّ من عملهم .

أسرع (عصام) إلى داخل المتجر ، وهو يُعدُّ آلة التصوير الخاصّة به للعمل ، وتعلّق بصره بالشاب الأسمر ، ذى الشعر المجعّد ، الذى يجلس واضح الاضطراب ، أمام أحد ضباط الشرطة ، وكان من الواضح أنّ رجل الشرطة يستجوبه ؛ لذا فقد اتّخذ (عصام) من التقاط الصُـوَر حجّة ، واقترب من الضابط ، ليسمعه يسأل الشاب فى اهتمام وصرامة :

ــ وكيف علمت بالحادث يا سيّد (أشرف) ؟

بدا صوت (أشرف) مضطربًا كمظهره ، وهو يقول :

ــ لقد تركت السيّد (صادق) فى منتصف ليلة أمس ، وعدت إلى منزلى ، ثم أتيت لأفتح المتجر فى العاشرة صباحًا كالعادة ، فوجدته مفتوحًا ، ولقد أدهشنى ذلك بالطبع ؛ لأن السيّد (صادق) يحضر عادةً فى الثانية عشرة ظهرًا ، وزاد من دهشتى أنّ الأنوار مازالت مضاءة ، كما تركتها أمس ، ولم أكد أخطو داخل ركن البيع ، حتى فوجئت بالسيّد (صادق) قتيلًا ، وعلى وجهه كل ذلك الرعب .

سأله الضابط فى هدوء :

ــ وماذا فعلت حينئذ ؟

هزّ (أشرف) رأسه فى أسف واضح ، وقال :

ــ لقد طلبْتُ الشُرطة على الفور يا سيّدى .

ساد الصمت لحظة ، وكأنّ ضابط الشُرطة يبحث عن أسئلة جديدة ، قبل أن يقول :

ــ هل سرق أحدهم شيئًا يا (أشرف) ؟ ..

غمغم (أشرف) فى توتُّر :

ــ لا يا سيّدى .. كل شىء على ما يرام ، ما عدا ..

وتردَّد لحظة ، فهتف الضابط يستحثه على المواصلة :

ــ ماعدا ماذا ؟

عاد (أشرف) يتردَّد لحظة أخرى ، ثم قال :

ــ ما عدا أوَّل طابع فى العالم .

هتف الضابط فى دهشة :

ــ أوَّل طابع فى العالم ؟!

أومأ (أشرف) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم يا سيِّدى ... هذا هو الشىء الوحيد الذى اختفى ، والذى من أجله تمَّت جريمة قتل السيِّد (صادق) .

* * *

« طابع بريد ؟!! »

هتفت (علا) بهذه العبارة فى دهشة بالغة ، فى حين عقد (عماد) حاجبيه الصغيرين ، وأومأ (عصام) برأسه ، قائلًا :

ــ نعم يا صغيرتى .. إنه طابع بريد واحد ، ولكنه يساوى مليون جنيه .

هتف (عماد) فى دهشة :

ــ وكيف عرفت ذلك ؟

ضحك (عصام) ، وهو يقول :

ــ صداقتى لكما بدَّلت الكثير من طبائعى يا صغيرىَّ .

ثم مال نحوهما ، مستطردًا :

ــ لقد أسرعت خلف (أشرف) ، بعد أن انتهى رجال الشرطة من التحقيق معه ، وعرفت منه بعض الأشياء .

سألته (علا) فى اهتمام :

ــ ماذا عرفت أيضًا ، باستثناء ثمن الطابع المفقود ؟

بدا الاهتمام فى ملامح (عصام) ، وهو يقول :

ــ عرفت منه أن القتيل ابتاع هذا الطابع من واحد من أكبر عملائه ، وأنه كان يستعدُّ لبيْعه إلى عميل آخر .

هتف (عماد) :

ــ فقط ؟!

انطلق (عصام) ينقل إليهما ما سمعه من (أشرف) ، عن تفاصيل آخر حوار دار بينه وبين (صادق) ، قبيل مصرعه ، فلما انتهى من حديثه ، تبادل (عماد) و (علا) نظرة غامضة ، وقال (عماد) :

ــ هذا يعنى أن القاتل قد يكون ذلك العميل ، الذى باع الطابع بثمن بخس ، يقلّ كثيرا عن ثمنه الحقيقى ، أو الآخر الذى أراد شراءه ، بعد احتدام النقاش بينه وبين القتيل .

هتفت (علا) :

ــ ألم يخبرك (أشرف) باسم هذين العميلين يا أستاذ (عصام) ؟

هزّ (عصام) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ إن (صادق) لم يخبره بهما للأسف ..

ثم تألقت عيناه ، وهو يستطرد فى اهتمام :

ــ ولكن ..

هتف (عماد) فى لهفة :

ــ ولكن ماذا ؟

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ لقد أخبرنى (أشرف) أن كلمة العملاء الكبار هذه ، لا تنطبق إلّا على ثلاثة فقط من زبائن المتجر ، وهم رجل أعمال يُدْعى (ممدوح حامد) ، و (مجدى خليل) نائب رئيس جمعيّة هُواة جمع طوابع البريد ، و (حسن عشماوى) ، الناشر المعروف .

صفّقت (علا) بكفيها فى جذل ، فى حين سأله (عماد) فى لهفة شديدة :

ــ وهل حصلت على عناوينهم ؟

التقط (عصام) من جيب قميصه ورقة مطويّة ، وابتسم فى فخر ، وهو يقول :

ــ بالطبــع يا صغيرىّ .. هل نسيتما أننــى أحمل لقب (ع × ٣) ؟

ضحك (عماد) و (علا) فى جذل ، ثم قال (عماد) فى جدّيّة :

ــ لقد أنجزت الخطوة الأولى ببراعة فائقة يا أستــاذ (عصام) ، وأصبح علينا أن نتعاون جميعًا لأداء الخطوة الثانية ، ومحاولة كشف سرّ جامع الطوابع ، الذى تحوّل إلى قاتل .

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ــ نعم .. أول قاتل فى عالم البريد .

* * *

٣ ــ مليــون فكــرة ..

فتح (مجدى خليل) باب منزله ، وتطلّع فى دهشة إلى (عماد) و (غلا) ، ثم لم يلبث أن ابتسم ، وهو يقول :

ــ هل هناك خدمة يمكننى تقديمها يا صغيرىَ ؟

أسرع (عماد) يقول :

ــ نحن عضوان فى جمعيَّة هواة جمع طوابع البريد بالمدرسة يا سيّدى ، ونريد أن نسألك بعض الأسئلة ، بصفتك نائب رئيس الجمعيَّة العموميَّة .

اتّسعت ابتسامة (مجدى) ، وهو يقول :

ــ على الرّحب والسّعة يا صغيرىَّ .

ثم أفسح لهما الطريق ، وقادهما إلى حجرة مكتبه الضخمة ، ولم تكد أقدامهما تطأ تلك الحجرة ، حتى اتّسعت عيونهما فى دهشة وانبهار ؛ فقد كانت جدران الحجرة كلها مغطاة بإطارات زجاجية ، تحوى أعدادًا هائلة من الطوابع ، من مختلف أنحاء العالم ، وأركانه ..

وضحك (مجدى) ، وهو يقول :

ــ هل أدهشتكما مجموعتى ؟

هتفت (غلا) فى انبهار :

ــ لم أكن أتصوّر أن هناك شخصًا يملك كل هذا القدر من طوابع البريد التذكاريّة .

عاد (مجدى) يضحك ، وهو يقول :

ــ إنها نصف مجموعتى فحسب يا صغيرتى ، فأنا أحتفظ بالروائع فى مكان سرّىّ خاصّ ، ثم إننى لست أكبر جامع طوابع فى العالم .

غمغم (عماد) فى دهشة :

ــ يا إلهى !!

تنهّد (مجدى) فى ارتياح ، وقال فى لهفة :

ــ منذ ابتكر الفرنسىّ (هيرين) هواية جمع طوابع البريد ، عام ألف وثمانمائة وأربعة وستين ، انغمس الآلاف فى هذه الهواية ، حتى أنه يوجد هواة يمتلكون ما يقرب من مليونى طابع بريد(*) .

هتف (عماد) :

ــ مليونا طابع بريد ؟!.. يا له من رقم !!

(*) حقيقة .

نقلت (غلا) بصرها بين (عماد) و (مجدى) ، وراودها الخوف من أن يضيع انبهارهم الهدف الرئيسى من الزيارة ، فأسرعت تسأل (مجدى) فى اهتمام :

ـــ وماذا عن أول طابع بريد فى العالم يا سيّد (مجدى) ؟

ظهر اضطراب واضح على وجه (مجدى) ، الذى شحب بعض الشىء ، وتلعثمت كلماته ، وهو يغمغم :

ـــ ماذا تعنين يا صغيرتى ؟

عقد (عماد) حاجبيه الصغيرين ، وهو يقول :

ـــ إنه مجرّد سؤال يا سيّد (مجدى) .

بدا امتقاع وجه (مجدى) عجيبا ، وهو يحاول أن يبتسم فى عصبيّة ، ويلوّح بكفّه ، قائلا فى صوت أجشّ :

ـــ ما الذى تريدان معرفته عن أول طابع فى العالم ؟

هزّت (غلا) كتفيها ، وهى تقول :

ـــ كل ما يمكن معرفته يا سيّد (مجدى) .. ثمنه !.. حجمه !.. لونه !

ثم ضغطت حروف كلماتها ، وهى تقول :

ـــ أين يوجد الآن مثلا ؟

لوّح (مجدى) بذراعيه فى عصبيّة ، وهو يقول :

ـــ لست أدرى أين هو ، لست أدرى شيئا عن ذلك .

سأله (عماد) بغتة :

ـــ هل صحيح أن ثمنه يبلغ مليون جنيه ؟

حدجه (مجدى) بنظرة غامضة ، تمتلئ بالريبة ، وهو يقول :

ـــ ربّما .

ثم انحنى نحو (عماد) و (غلا) ، وسألهما بغتة :

ـــ لقد قلتما إنكما عضوان فى جمعية هواة جمع طوابع البريد بالمدرسة .. فما مدرستكما ؟

ارتبك (عماد) و (غلا) ، وأجابته (غلا) :

ـــ مدرسة المعادى الابتدائية يا سيّد (مجدى) .

عقد (مجدى) حاجبيه لحظة ، وغمغم وكأنه يحاول حفر الاسم فى ذاكرته :

ـــ المعادى الابتدائية .

ثم بدا شديد الصرامة ، وهو يقول :

ـــ لا توجد جمعيّة هواة فى مدرسة المعادى الابتدائية ، أنتما كاذبان .

ارتبكت (غلا) أمام ذلك الهجوم المباغت ، وشعرت

باضطراب شديد فى أعماقها ، فى حين ظلّ (عماد) هادئا ، وهو يقول :

ـــ بل توجد جمعيّة فى مدرستنا يا سيّد (مجدى) ، ويرأسها السيّد (صادق حسّان) .

اتّسعت عينا (مجدى) ، وشحُب وجهه فى شدة ، وهو يغمغم :

ـــ (صادق حسّان) ؟!

ثم هتف فى حدّة ، ووجهه يزداد امتقاعا وشحوبا :

ـــ هذا مستحيل .

هزّ (عماد) كتفيه فى هدوء ، وهو يقول :

ـــ وما المستحيل فى ذلك ؟.. لقد كنت أتحدّث معه منذ نصف ساعة و ....

قاطعه (مجدى) بشهقة قويّة ، وهو يهتف :

ـــ نصف ساعة ؟!.. هذا هو المستحيل بعينه !

سأله (عماد) فجأة فى حدّة :

ـــ لماذا هو مستحيل يا سيّد (مجدى) ؟

صاح (مجدى) :

ـــ لأنه .. لأنه ..

قاطعته (غُلا) فى صرامة :

ـــ لأنه قُتل .

اتّسعت عينا (مجدى) فى شدّة ، ثم هتف فى خشونة :

ـــ من أنتما ؟.. وماذا تريدان ؟

ثم جذب (عماد) إليه فى قسوة ، وهو يصرخ :

ـــ ماذا تريدان ؟

خُيّل لـ (عماد) لحظة أن (مجدى) سيصفعه فى قوّة ، إلّا أن الرجل تردّد لحظة ، ثم دفعه بعيدا ، وهو يستطرد فى عصبيّة واضحة :

ـــ غادرا منزلى ، لست أريدكما هنا .

ودفعهما أمامه فى خشونة إلى خارج المنزل ، وأغلق الباب خلفهما فى عنف ، فتبادلت (غُلا) نظرة مفعمة بالانفعال مع (عماد) ، قبل أن تهتف :

ـــ هل تعلم ماذا يعنى ذلك ؟

أومأ (عماد) برأسه إيجابا ، وقال :

ـــ نعم يا (غُلا) .. إنه يعنى أن السيّد (مجدى) يعلم الكثير عن مصرع (صادق) ، على الرغم من أن شيئا لم ينشر عن ذلك فى الصحف بعد ، أو أنه هو المتسبّب فى مقتل تاجر الطوابع .

خُيِّل لـ (عماد) لحظة أن (مجدى) سيصفعه فى قوّة ،
إلّا أن الرجل تردَّد ، ثم دفعه بعيدًا

هتفت (غلا) فى حماس :

ــ أنا واثقة من ذلك .

تنهَّد (عماد) ، وهو يقول :

ــ دعينا لا نتعجَّل الأمور يا (غلا) ، فربَّما يتغيَّر كل شىء ، حينما نلتقى بـ (عصام) ، بعد عودته من مقابلة رجل الأعمال (ممدوح) .

هزَّت رأسها نفيًا فى عناد ، وهى تقول :

ــ كلَّا .. مهما قلت أو فعلت ، لن تنزع من عقلى هذه الفكرة .. فكرة أن السيِّد (مجدى) هو جامع الطوابع القاتل

★ ★ ★

٤ ــ الفـــخ ..

شعر (عصام) ببعض القلق ، وهو يتطلّع إلى كلب الرعاة الألمانى الضخم(*) ، الذى يربّت رجل الأعمـــال (ممدوح حامد) على عنقه ، وهو يجلس فى مواجهة (عصام) ، ويتطلّع إليه بعينين باردتين ، ووجد نفسه يقارن بلا وعْى ، بين الشراسة البادية فى عينى الكلب وأنيابه ، وبين ذلك البرود الواضح فى عينى (ممدوح) وملامحه ، وخُيّل إليه أن عينى (ممدوح) تشبهان إلى حدّ كبير عينى كلبه ، ودفعه هذا الخاطر إلى أن يبتسم مقاومًا رغبته فى الضحك ، فى حين سأله (ممدوح) فى برود :

ــ هل لى أن أعرف سرّ هذه الزيارة ياسيّد (عصام) ؟

هزّ (عصام) كتفيه فى هدوء ، وابتسم وهو يقول :

ــ هل لى أن أعرف أولا مدى معرفتك بتاجر الطوابع (صادق حسّان) ؟

كان (عصام) يأمل بسؤاله المفاجئ أن يثير دهشة (ممدوح)

(*) يُطلَق عليه العامة اسم الكلب الوولف .

وتوتّره ، بحيث تكشف ملامحه عن أكثر مما يمكن أن يفصح عنه ، إلّا أن وجه (ممدوح) ظلّ باردًا كالثلج ، وهو يقول فى هدوء شديد ، وإن جاءت لهجته أبطأ من المألوف :

ــ إنه تاجر طوابع معروف ، وأنا أبتاع منه الكثير من هذه الملصقات الصغيرة .

سأله (عصام) فى حدّة :

ــ ألم يحدث أن حاولت بيع طابع له بالذات ؟

أجابه (ممدوح) بنفس البرود :

ــ أحيانا .

رسم (عصام) ابتسامة خبيثة على شفتيه ، وهو يقول :

ــ مثل أول طابع بريد فى العالم مثلا :

ظلّ (ممدوح) صامتا بضع لحظات ، وملامحه جامدة باردة ، وإن خُيّل لـ (عصام) أنه يلمح بعض التوتر فى عينيه ، ومن المؤكّد أن بعض هذا التوتّر قد انتقل إلى الكلب الضخم ، فقد هبّ واقفًا ، وأخذ يزمجر فى شراسة ، وهو يحدج (عصام) بنظرات وحشيّة حذرة ، قبل أن يجيب (ممدوح) فى هدوء ظاهرىّ :

ــ كلّا .

انحنى (عصام) نحو (ممدوح) ، وقال :

ــ هل تعلم كم يبلغ ثمن مثل هذا الطابــع ياسيّــد (ممدوح) ؟

أجابه (ممدوح) فى هدوء :

ــ حوالى مليون جنيه .

ابتسم (عصام) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ــ هذا صحيح .

ثم أردف فجأة فى لهجة هجوميّة :

ــ وهذا المبلغ يستحق أن يقتل المرء مَن أجله .

ابتسم (ممدوح) ابتسامة باردة ، وهو يقول فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ــ هل تتهمنى بقتل (صادق) أيُها الصحفىّ ؟

اعتدل (عصام) فجأة ، وهو يقول فى اهتمام :

ــ وكيف عرفت أنه قُتل ؟

عقد (ممدوح) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ ماذا ؟

أشار إليه (عصام) بسبّابته ، وهو يقول فى انفعال وحماس :

ــ أقول كيف عرفت أنه قُتل ياسيّد (ممدوح) .. لقد أوقعت نفسك فى الفخ ، الذى أعددته لك .. لقد اعترفت دون أن تدرى ياسيّد (ممدوح) .

تخلّت ملامح (ممدوح) فجأة عن برودها ، وامتلأت بالغضب الشديد ، ثم تحرّكت يده فجأة ، ولكزت عنق الكلب الضخم ، وهو يهتف فى ثورة مفاجئة :

ــ اهجم يا (ركس) .. اقتله .

ودون لحظة واحدة من التردُّد ، قفز الكلب الضخم نحو (عصام) ، وهو يزمجر فى وحشيّة ، وأنيابه الحادة تعكس ضوء الحجرة ، وتبعث فى جسد (عصام) رجفة الموت .

* * *

استقبل الناشر المعروف (حسن عشماوى) بطلينا (عماد) و (غُلا) ، فى دهشة تمتزج بالفضول والتساؤل ، وقادهما إلى مكتبه فى دار النشر ، ودعاهما لمشاركته كوبين من الشراب المثلّج ، قبل أن يسألهما فى اهتمام :

ــ بم يمكننى خدمتكما يا صغيرىَ ؟

أجابه (عماد) فى لهجة مهذّبة :

ــ إننا نعد مجلة لجمعية هواة جمع طوابع البريد التذكارية ، فى

المدرسة ياسيّدى ، ولقد رأينا أن نسألك العوْن ، بصفتك ناشرًا معروفا ، وواحد من أكبر هواة جمع الطوابع ، وصاحب أحد كتب إرشاد الهواة .

ابتسم (حسن)، وهو يقول :

ــ وأى عوْن يمكننى تقديمه ؟

قالت (غلا) فى هدوء :

ــ لقد طلب منا مشرف الجمعية ، السيّد (صادق حسّان) أن ....

قاطعها الناشر بصيحة دهشة :

ــ تقولين من ؟!

ابتسمت (غلا) ابتسامة خبيثة ، وهى تقول :

ــ السيّد (صادق حسّان) ، تاجر الطوابع المعروف .

عقد (حسن) حاجبيه ، وهو يتراجع فى مقعده فى حدّة ، وقال فى صوت أجش عصبىّ :

ــ وما الذى جعل تاجر طوابع مثله مشرفًا على جمعيتكم ؟

أجابه (عماد) فى هدوء :

ــ إدارة المدرسة ترى أنه الشخص المناسب ياسيّدى .

ازداد انعقاد حاجبى (حسن) ، وهو يغمغم فى سخط :

ــ تقصد أنه كان كذلك .

تبادل (عماد) و (غلا) نظرة مفعمة بالمشاعر والانفعالات ، قبل أن تسأله (غلا) فى توتُّر واضح :

ــ ولماذا تقول إنه كان كذلك ياسيّدى ؟

تردّد الناشر لحظة ، ثم قال فى برود :

ــ أعنى أننى سأتصل بإدارة المدرسة ، وسأخبرها أنه رجل محتال لا يصلح أبدا للتعامل مع الأطفال .

وفجأة ارتفع صوت حادّ صارم ، يقول :

ــ من هو المحتال ياسيّد (حسن) ؟

شحب وجه (حسن) ، وبدا الاضطراب واضحا فى قسماته ، وهو يتطلّع إلى الرجل الضخم ، الذى جذب انتباه (عماد) و (غلا) بالقسوة الواضحة فى ملامحه ، خاصّة وهو يغلق الباب خلفه فى قوّة ، ويتّجه إلى مكتب (حسن)، مستطردًا فى خشونة :

ــ المحتال هو من يرفض سداد ديونه ، حينما تبلغ نصف مليون جنيه .. أليس كذلك ياسيّد (حسن) ؟

امتقع وجه (حسن) فى شدّة ، ونهض من خلف مكتبه ، ودفع (عماد) و (غلا) إلى الخارج ، وهو يقول فى عصبيّة :

ـ معذرة يا صغيرى ، لن يمكننى التحدث إليكما الآن .. سنؤجل هذا لما بعد .

وقبل أن ينطق أحدهما بكلمة واحدة ، كان قد أغلق الباب خلفهما فى قوة ، فزفرت (غلا) فى ضيق ، وهى تقول :

ـ يا له من وقح !!

غمغم (عماد) وهو يفكر فى عمق :

ـ بل قولى يا له من قاتل !!

* * *

٥ ـ القتيل الثانى ..

رأى (عصام) الكلب الضخم يندفع نحوه ، بأنيابه القاتلة ، وزمجرته المخيفة ، فتراجع فى مقعده بذعر ، حتى أن المقعد كله انقلب به على ظهره ، وارتفعت قدمه العليا لتركل بطن الكلب ، الذى أطلق عواءً غاضبًا ، وهبط على قوائمه خلف (عصام) ، الذى قفز واقفا على قدميه ، واستدار يواجه الكلب وهو يلهث فى توتُّر وانفعال ، وقد باعد ما بين ساقيه ، وفرد كفَّيه أمامه ، وأصابعه نصف مضمومة ، متوتِّرة ، فى حين ظلَّ (ممدوح) هادئًا ، بارد الملامح ، تتألَّق عيناه جذلًا ، وكأنه يشاهد فيلمًا هزليًا ، وهو يراقب كلبه الضخم ، الذى زمجر فى قوَّة وشراسة ، وتحرَّك بضع خطوات فى حذر ، ثم قفز نحو (عصام) مرة أخرى ، محاولًا إنشاب مخالبه فى صدره ..

وتلقَّى (عصام) الكلب بساعديه ، ولكن ثقل الكلب ، واندفاعه ، جعلا (عصام) يفقد توازنه ، فيسقط على ظهره ، وفوقه الكلب ، الذى عوى فى وحشية رهيبة ، وقفز بأنيابه الحادَّة نحو عنق (عصام) ، الذى أدرك هذه المرة أنه لا مفرَّ من الهزيمة ..

فتراجع فى مقعده بذعر حتى أن المقعد كله انقلب به على ظهره ، وارتفعت قدمه العليا لتركل بطن الكلب ..

* * *

شعر (عصام) أنه مقضىّ عليه لا محالة ، حينما وجد نفسه عاجزًا عن الحركة ، وأنياب الكلب الضخم على بعد سنتيمتر واحد من عنقه ، وسرت فى جسده رجفة قوية ، قبل أن يتردّد فى المكان صوت صارم قاس ، يقول فى لهجة آمرة :

ــ قف .

وتصلّب الكلب فجأة ، وكأنه تحوّل إلى تمثال رخامىّ بارد ، إلّا أن الوحشية لم تفارق عينيه ، وهو يزمجر فى شراسة ، وحدّق فيه (عصام) بذهول ، قبل أن يسمع ضحكة ساخرة ، انطلقت من بين شفتى (ممدوح) ، وهو يقول فى هدوء :

ــ اتركه يا (ركس) .. تعال إلى هنا .

زمجر الكلب مرة أخرى ، وكأنه يعبّر عن استيائه لحرمانه من ضحيته ، ثم سار فى خطوات هادئة إلى حيث يجلس سيّده ، الذى تألّقت عيناه فى جذل ، وهو يقول ببروده المعهود :

ــ كان من الممكن أن أجعله يفترسك يا أستاذ (عصام) .. أليس كذلك ؟

نهض (عصام) شاحب الوجه ، وقال وهو ينفض غبارًا وهميًّا عن ثيابه :

ـــ إننى أعترف بذلك .

ثم استطرد فى حَنَق :

ـــ ولكننى لا أفهم معنى ما فعلت .

ابتسم (ممدوح) فى برود ، وقال :

ـــ إنها وسيلة عمليّة ، لأؤكد لك أننى لست القاتل .

غمغم (عصام) فى حنق :

ـــ وسيلة سخيفة .

هزَّ (ممدوح) كتفيه فى لا مبالاة ، وقال :

ـــ ولكنها فعّالة ، فهى أفضل من الحديث لمدة ساعة ، فى محاولة لتأكيد براءتى .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـــ وماذا عن سترتى التى تمزّقت ؟

أجابه الرجل فى هدوء :

ـــ يمكن إضافتها لمتاعب مهنة الصحافة .

حدَّق (عصام) فى وجهه لحظة ، ثم ابتسم وهو يقول فى هدوء :

ـــ هذا صحيح يا سيِّد (ممدوح) .. سأضيف ثمن السترة الممزّقة إلى فاتورة المتاعب .

ثم استطرد ، وهو يلتقط آلة التصوير :

ـــ ومن يدرى ؟.. ربّما سدّدت أنت فاتورة المتاعب كلها فيما بعد .

* * *

التقى (عصام) بـ (عماد) و (علا) ، فى النادى الصغير ، المجاور لمنزل بطلينا ، وتبادلا شرح ما حدث لكل منهما . ثم قال (عصام) فى اهتمام :

ـــ على الرغم من تلك الوسيلة السخيفة ، التى حاول (ممدوح) إقناعى بها ، أنه ليس القاتل ، إلّا أن الشك يراودنى تجاهه ، لأنه كان يعلم بمصرع (صادق) ، قبل أن ينتشر الأمر .

قالت (علا) :

ـــ كلهم كانوا يعلمون ، وهذا فى حدّ ذاته مثير للدهشة .

اعتدل (عماد) فى مقعده وقال :

ـــ لقد أخطأنا حينما تركنا الأمر يمرّ عابرًا ، فقد كان ينبغى أن نسأل كلًّا منهم : كيف عرف بمصرع تاجر الطوابع ؟

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول فى اهتمام :

ـــ وهل تظن أن أيًا منهم كان سيقول الحقيقة ؟

هتف (عماد) :

ــ هذا لا يهم ، فإجابتهم وحدها ستضىء أمامنا جزءًا من الحقيقة ، حتى ولو كانت كاذبة ..

ساد الصمت بينهم لحظة ، ثم قال (عصام) :

ــ ألم تكوّنا رأيًا ما ، من خلال هذه اللقاءات الأولى ؟

تبادل (عماد) و (علا) نظرة حائرة ،ثم قالت (علا) :

ــ ولو أننا اعتمدنا على اللقاءات الأولى ، لاتهمنا الثلاثة ياأستاذ (عصام) ، فارتباك السيّد (مجدى) ، حينما تحدّثنا معه عن أول طابع بريد ، يجعلنا نشك فى أنه الفاعل ، وأسلوب (ممدوح) الجنونى معك ، يقول إنه رجل سادىّ ، يمكنه القيام بأى عمل ، فى سبيل تحقيق مأرب مَا ، وكذلك الضائقة المالية ، التى يمر بها (حسن) الناشر ، تجعله أصلح شخص يرتكب جريمة من أجل طابع ثمنه مليون جنيه .

ظهرت خيبة الأمل على وجه (عصام) ، وهو يغمغم :

ــ هذا يعنى أنكما لم تتوصّلا إلى أى شىء .

هزَّ (عماد) كتفيه ، وقال :

ــ ما زلنا نحتاج إلى نقطة ترجيحيّة يا أستاذ (عصام) .

عاد الصمت يلفُّهم لحظات ، قبل أن يعتدل (عصام) بغتةً ، ويقول فى حماس :

ــ ما رأيكم أن نعود إلى الأستاذ (مجدى خليل) ، ونحاول أن نسأله عن سر معرفته بمصرع (صادق) ، وعن سبب ارتباكه حينما ذكرتما له أمر الطابع ؟

هتفت (علا) فى حماس :

ــ هل تعنى أسلوب المواجهة المباشرة ؟.. نعم .. إننى أفضل ذلك .

نهض (عصام) وقد وصل حماسه إلى ذروته ، ولوَّح بذراعه فى أداء مسرحى ، وهو يقول :

ــ حسنًا ، فلنبدأ على الفور ، فقد اقترب الليل .

* * *

دقَّ (عصام) باب منزل (مجدى) ، وانتظر لحظات مع (عماد) و (علا) ، ولمَّا لم يأته جواب ، عاد يدق الباب ، وهو يقول :

ــ أرجو ألَّا يكون قد غادر المنزل .

غمغمت (علا) فى اهتمام :

ــ البوّاب يقول إنه لم يغادره منذ الصباح .

اقترب (عماد) من الباب ، وألصق أذنه به ، وهو يقول :

ــ عجبًا !!.. يخيّل إلىّ أننى أسمع صوت حركة خافتة بالداخل .

بدا الاهتمام على وجه (عصام) ، فقال وهو يدق الباب فى قوّة :

ــ أخشى أن يكون قد أصابه مكروه أو ..

بتر عبارته فجأة ، حينما تحرّك الباب ، وانفتح مع ضرباته القويّة ، وبدت ردهة المنزل مظلمة تمامًا ، فغمغم (عصام) فى ارتباك :

ــ لقد كان الباب مفتوحًا .

غمغمت (علا) :

ــ هل .. هل ندخل ؟

عقد (عماد) حاجبيه الصغيرين ، وغمغم :

ــ ليس من اللائق أن ندخل منزلًا ، دون موافقة صاحبه يا (علا) ، ولكن ..

صمت لحظة ، شاركه فيها (عصام) و (علا) ، قبل أن يستطرد فى قلق :

ــ قلبى يحدّثنى بضرورة دخولنا .

تردّدوا لحظة أمام الباب المفتوح ، ثم حسم (عصام) تردّده ، وخطا إلى داخل المنزل ، وهو يقول :

ــ إننى أوافقك يا صغيرى .

كان الظلام شديدًا فى الداخل ، فغمغم (عماد) :

ــ أين زر الإنارة يا ترى ؟

التفت إليه (عصام) ، قائلًا :

ــ إنه هناك فى ..

ولكن عبارته لم تكتمل ، حينما تعثّر فى شىء ما ، وسقط فوقه ، ثم أطلق شهقة تجمع بين الذعر والدهشة ، جعلت (عماد) و (علا) يهتفان فى آن واحد :

ــ ماذا هناك ؟

ارتجف صوته ، وهو يقول :

ــ إنها جثة رجل .. هنا قتيل آخر .

* * *

٦ ــ الوصيَّة ..

عقدت صيحة (عصام) لسانى (عماد) و (غلا) لحظة . قبل أن تهتف الأخيرة فى توتُّر بالغ :

ــ قتيل ثان ؟!.. هل أنت واثق ؟

صاح (عصام) ، وهو يتحسَّس جثة الرجل فى توتُّر :

ــ نعم يا (غلا) .. إن جسده بارد كالثلج ، وهناك شىء ما معقود حول عنقه فى قوَّة .

ثم هتف فى قلق :

ــ ابحث عن زر الإنارة يا (عماد) .. أريد أن أرى وجه القتيل الثانى .

تحرَّك (عماد) نحو الحائط فى توتُّر ، ثم تسمَّر فجأة ، وهتف :

ــ ولكن الصوت !!

صاح به (عصام) فى حدَّة :

ــ أى صوت أيها الصغير ؟

هتف (عماد) فى حماس :

ــ أنت تقول إن جسده بارد كالثلج ، وهذا يعنى أنه لقى مصرعه منذ فترة ، فمن صاحب الصوت الذى سمعته أنا داخل الشقة ، قبل أن ندخلها .

امتقع وجه (عصام) ، وهو يغمغم فى شحوب :

ــ ماذا تعنى يا (عماد) ؟

أجابه (عماد) فى ثقة وحرارة :

ــ أعنى أن القاتل ما زال هنا يا أستاذ (عصام) .. وأنه لم يغادر مسرح الجريمة بعد .

ولم يكد يختم عبارته ، حتى اندفع ظلّ فجأة من حجرة مكتب (مجدى) ، وانطلق يعدو نحو باب المنزل ، فصاح (عماد) فى انفعال :

ــ إنه هو .. إنه القاتل .

* * *

انتزعت صرخة (عماد) (عصام) من ذهوله ، ورأى القاتل يعدو إلى جواره ، فى طريقه إلى الباب ، فقفز متعلّقًا بقدميه ، مما أفقد الرجل توازنه ، فسقط أرضًا ، وقفز (عصام) محاولًا شل حركته ، إلَّا أنه شعر بلكمة قويَّة فى فكه ، وبأخرى فى معدته ، فسقط بعيدًا عن الرجل ، الذى قفز

واقفًا على قدميه فى رشاقة عجيبة ، وحاول أن ينطلق مرّة أخرى نحو الباب ، ولكن (عماد) قفز متعلّقًا بعنقه من الخلف ، وهو يصرخ :

ــ النجدة .. إنه القاتل .. القاتل .

وفى جسارة ، قفزت (غلا) تتعلّق بذراع الرجل ، وتطبق على رسغه بأسنانها ، فأطلق الرجل صرخة ألم مكتومة ، ثم هوى على وجهها بصفعة قويّة ، ألقت بجسدها الصغير بعيدًا ، ثم انتزع (عماد) من خلف ظهره فى قوّة ، وألقى به فى خشونة فوق (عصام) ، الذى كان قد نهض من سقطته ، فعاد يسقط على ظهره ، و (عماد) فوقه ، وقبل أن يعتدل أحدهما ، كان الرجل قد قفز خارج المنزل ، وأغلق الباب خلفه فى قوّة ..

قفز (عماد) و (عصام) واقفين ، وهتف (عصام) وهو يسرع إلى الباب :

ــ يجب أن نمنعه .. يجب .

ولم يكد يفتح باب المنزل ، حتى توقّف مبهوتًا ، فقد كان المكان هادئًا ساكنًا للغاية ، لا يوحى بوجود شخص هارب ، وهنا التفت (عصام) إلى زر الإنارة ، وأضاء الرّدهة ، وهو يغمغم فى سخط :

وألقى به فى خشونة فوق (عصام) ، الذى كان قد نهض من سقطته ، فعاد يسقط على ظهره ، (وعماد) فوقه ..

ـ لقد فرّ . لست أدرى كيف فعل ذلك ، ولكنه نجح فى الفرار .

ولم يكد الضوء يغمر الرّدهة ، حتى التفت الجميع إلى القتيل ، وصاحت (غلا) فى خوف :

ـ يا إلهى !! إنه الأستاذ (مجدى) .. لقد أصبح الضحيّة الثانية .

* * *

انهمك العقيد (خيرى) فى استجواب بوّاب البناية ، الذى أكدّ عدم معرفته بالرجل الذى زار (مجدى) قبل مصرعه ، نظرًا لضخامة البناية ، وكثرة الشقق فى طوابقها الضخمة ، وكثرة المتردّدين عليها بالتالى ، ثم سمح له العقيد (خيرى) بالانصراف ، والتفت إلى ولديه (عماد) و (غلا) ، وقال فى مزيج من الغضب والصرامة :

ـ هل لى أن أعرف ماذا كنتما تفعلان هنا ؟

احمرّ وجهاهما خجلًا ، وغمغمت (غلا) :

ـ لقد كنا نرافق الأستاذ (عصام) ، فى أثناء تحقيقه فى قضية مصرع تاجر الطوابع (صادق حسّان) يا أبى .

عقد الوالد حاجبيه ، وهو يقول فى حدّة :

ـ ولماذا لم تخبرانى بذلك ؟

غمغم (عماد) فى لهجة أقرب إلى الاعتذار :

ـ معذرة يا أبى .. ولكن الأمر بدأ فى الصباح ، ولقد كنت أنت فى العمل و ....

قاطعهما العقيد (خيرى) فى سخط :

ـ كان يمكنكما الاتصال بى هاتفيًا على الأقل .. ألا تعلمان أنه من الخطر أن يورّط صغيران مثلكما نفسيهما فى تحقيق جرائم القتل ؟.. هل نسيتما أنكما فى الثانية عشرة من عمريكما ؟ وأن ....

قاطعه (عصام) فى هدوء :

ـ معذرة يا سيادة العقيد .. صحيح أن ولديك فى الثانية عشرة من عمريهما ، ولكن ـ صدّقنى ـ أنهما يملكان عقلية استنتاجية مذهلة ، تفوق عقلية محقّق بارع فى الثلاثين من عمره .

التفت إليه العقيد (خيرى) ، وهو يقول فى حدّة :

ـ لسنا بصدد مناقشة قدرة ولدىّ على الاستنتاج ، فأنا أعلم الناس بها ، ولقد استعنت بهما أكثر من مرّة ،

فى حل غموض قضايا بوليسية معقّدة ، ولكن رأيت أنا واللواء (منـدور) أن هذا يعرّضهما لخاطر شتّى ، لا تنـاسب عمريهما ، أو جسميهما .

غمغمت (غلا) فى اعتراض :

ــ ولكن يا والدى ..

قاطعها العقيد (خيرى) فى صرامة :

ــ كفى يا (غلا) .. سنناقش هذا الأمر عند عودتنا إلى المنزل .

بدا الضيق على وجهى : (عماد) و (غلا) ، ثم غمغم (عماد) فى تخاذل :

ــ هل تسمح لنا بإلقاء نظرة على مسرح الجريمة على الأقل ؟

كاد الوالد يعترض فى صرامة ، إلّا أنه صمت لحظة مفكّرًا ، ثم غمغم فى هدوء :

ــ لا بأس ، ولكن بسرعة ، فسأصحبكما إلى المنزل بعد قليل .

تحرّكا فى لهفة ، قبل أن يتراجع والدهما فى قراره ، وأسرعا مع (عصام) إلى حجرة مكتب (مجدى) ، ثم تسمّر ثلاثتهم فى

دهشة ، فقد بدت الحجرة مقلوبة رأسا على عقب ، أدراج المكتب كلها مفتوحة ، ومحتويات الحجرة ملقاة على الأرض فى إهمال شنيع ، والإطارات الزجاجية ، التى كانت تملأ الحوائط ، محطّمة ، وملقاة فى وسط الحجرة ، وكميات هائلة من طوابع البريد متناثرة فى كل مكان ، وهتفت (غلا) :

ــ يا إلهى !!.. شتّان ما بين هذا المشهد ، وذاك الذى رأيناه صباحا .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول فى اهتمام :

ــ من الواضح أن أحدهم كان يبحث عن شىء ما.

هتف (عماد) فى حماس :

ــ ربّما كان يبحث عن الطابع المفقود .

ثم أردف فى حنق :

ــ ولعلّه عثر عليه .

أشارت (غلا) فجأة إلى مظروف ملقى وسط الأوراق ، والإطارات الممزّقة ، وهتفت :

ــ ما هذا ؟

التقط (عصام) المظروف ، وتأمّله فى إمعان ، ثم غمغم :

ــ إنها وصية .

سأله (عماد) فى لهفة :

ــ وصية الأستاذ (مجدى) ــ رحمه الله ؟!

أومــأ (عصام) برأسه إيجابــا ، ونــاول المظــروف لـ (عماد) ، الذى تأمله فى اهتمام ، ونقل بصره بين الطابع البريدى الأنيق ، الملصق فى ركنه الأيمن العلوى ، وبين الكلمة المكتوبة بخط أنيق واضح فى منتصفه تمامًا « وصيتى إلى ابنتى الوحيدة » .

وغمغم (عماد) :

ــ إذن فله ابنة وحيدة .

أجابه (عصام) :

ــ هذا يبدو واضحًا ، ما دام قد ترك لها وصية .

وصاحت (غُلا) فى لهفة ، وهى تحاول التقاط المظروف من يد (عماد) :

ــ تُرى ماذا كتب لها فى وصيته ؟

أبعد (عماد) المظروف ، وهو يقول :

ــ كلَّا يا (غُلا) .. ليس من حقنــا الاطِّــلاع على مالا يخصُّنا .

صاحت (غُلا) فى اعتراض :

ــ ولكن هذه الوصية قد تحمل ما يقودنا إلى حلّ اللغز يا (عماد) .

هتف فى صرامة :

ــ ولو .. لن نفتحها أبدًا ، إلَّا فى حضور صاحبتها ، إذا ما أذنت بذلك بالطبع .

وهنا فاجأهم صوت حزين ، يقول فى خفوت ، وبصوت يقطر دمعًا :

ــ افتحها أيها الصغير .. ليس هناك ما أفقده ، بعد أن فقدت أبى .. لقد ضاع كل شىء .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت ، فطالعتهم أجمل فتاة رأوها فى حياتهم ، وأكثر عيون العالم حزنًا ، وكادوا يشاركونها البكاء ، حينما أردفت فى شحوب :

ــ إننى أصرّ على فتح وصية والدى الآن ، ولندع الله (سبحانه وتعالى) جميعًا ، أن تقودنا إلى قاتله الحقير .

* * *

٧ ــ عند سفح الهرم ..

« ابنتى العزيزة الوحيدة (سهام) :

كنت أتمنى أن أترك لك ، فى وصيتى هذه ، الكثير من الأموال ، ولكننى لم أكن أملك منها إلّا ما يكفى ليضمن لك حياة مستقرة فى وجودى ، بعد وفاة والدتك ، وأنت بعد صغيرة ، إلّا أنه لا يكفى ليجعلك تعيشين فى رغد من بعدى ، ولكننى فى الوقت نفسه تركت لك ثروة من الطوابع ، ولا تستهنى بالطوابع يا بنيتى ، فقد تجدين خلفها ثروة ضخمة ، تكفيك حتى آخر العمر ، وهذا هو أملى الوحيد بعد وفاتى ..

.. والدك (مجدى) » .

.. انهمرت دموع (سهام) ، وهى تستمع إلى العقيد (خيرى) ، فى أثناء قراءته للوصية ، ودفنت وجهها ، المبلّل بدموعها ، فى كفيها ، وهى تغمغم فى صوت يقطر حزنا :

ــ إننى لا أريد ثروة يا أبى .. لقد كنت أريدك أنت .

ربّت العقيد (خيرى) على كتفيها ، وهو يقول فى حنان :

ــ إنه قضاء الله (عزّ وجلّ) يا بنيّتى .

صاحت فى ألم :

ــ بل هو قاتل حقير .

عاد يربّت على كتفيها ، وهو يغمغم فى إشفاق :

ــ حتى هذا قضاء من الله (سبحانه وتعالى) فلا تفقدى إيمانك به (سبحانه) يا بنيّتى .

عادت (سهام) تبكى فى حرارة وألم وحزن ، وهى تضمّ الوصيّة إلى صدرها ، فى حين همس (عصام) فى إشفاق :

ــ هل تظن أنه القاتل نفسه ، الذى قتل (صادق) يا سيادة العقيد ؟

أومأ العقيد (خيرى) برأسه إيجابا ، وهو يقول :

ــ أعتقد ذلك ، فلقد استخدم الأسلوب نفسه .

سأله (عماد) فى اهتمام :

ــ هل تعتقد أن (مجدى) قاومه يا أبى ؟

التفت إليه والده ، وهو يقول فى صرامة :

ــ اتركا هذه القضية يا (عماد) ، وأنت يا (عُلا) ، فهى ليست من نوع القضايا التى تصلح لمن فى عمركما ، فهناك قاتل لا يتورّع عن ارتكاب أية جريمة .

غمغمت (غلا) فى ضراعة :

ــ ولكن يا أبى ..

قاطعها والدها فى حزم :

ــ لا توجد لكن يا (غلا) .. ستعودان معى إلى المنزل على الفور ، فوالدتكما تكاد تُجنّ خوفا وقلقا عليكما .

تبعه (عماد) و (غلا) فى حزن وأسف ، فى حين هزّ (عصام) رأسه ، وهو يقول فى أسف :

ــ صدّقنى يا سيادة العقيد .. إنك تقتل موهبة ولديك بيديك .

أجابه العقيد (خيرى) فى صرامة ، دون أن يلتفت إليه :

ــ هذا أفضل من قتلهما بيدىّ غيرى أيّها الصحفىّ .

وأغلق الباب خلفه فى حنق ..

* * *

جلس (عصام) شاردًا خلف مكتبه ، فى قسم الحوادث ، داخل الجريدة التى يعمل فيها ، يفكّر فيما حدث ، ويحاول ربط الأحداث بعضها ببعض ، واستغرقه ذلك حتى أنه ارتجف فى قوّة ، حينما وضع أحد زملائه يده على كتفه ، مما حدا بزميله هذا إلى إطلاق ضحكة مرحة ، وهو يقول :

ــ هل قطعت حبل أفكارك يا (شيرلوك هولمز) ؟

تطلّع إليه (عصام) فى دهشة ، وهو يغمغم فى شرود :

ــ (شيرلوك هولمز) ؟!

ضحك زميله ، وهو يقول :

ــ بالطبع .. ألا تعلم أننا أطلقنا عليك هذا اللقب ، بعد نجاحك المذهل فى حل قضية (العقد المفقود) ؟

أجابه (عصام) فى جديّة :

ــ ولكننى لم أفعل يا صديقى .. لقد حلّ اللغز ..

قاطعه زميله ، وهو يلوّح بكفه ضاحكا :

ــ أعلم .. أعلم .. طفلان فى الثانية عشرة من عمرهما ، أليس هذا ما تريد قوله ؟

ثم عاد يطلق ضحكة مرحة ، قبل أن يستطرد :

ــ صدقنى يا عزيزى .. إننا لن نحسدك على قدرتك الفذّة فى الاستنتاج ، ولكن التواضع لا يصلح لعالم الصحافة ، وحتى الكذب يحتاج إلى الذكاء ، فلن يصدّقك أحد ، إذا ما كرّرْت قصتك هذه .

هزّ (عصام) كتفيه ، وهو يقول :

ــ ولكنها الحقيقة .

أومأ زميله برأسه فى عبث واضح ، وقال :

ـــ فلبكن يا صديقى ، احتفظ بها لنفسك إذن ، فهى تبدو أغرب من أن يصدّقها أحد .

ابتسم (عصام) ابتسامة شاردة ، وترك زميله يواصل حديثه الساخر ، حتى انصرف ، فغمغم (عصام) :

ـــ يا لكـــم من محدودى التفـــكير !! هل نسيتم أن (أديسون) كان عبقريًا ، وهو لم يبلغ مثل عمرهما بعد ؟(*) .

لم يكد يتم عبارته ، حتى قاطعه زميل آخر ، قائلا :

ـــ هناك مكالمة هاتفية لك يا (عصام) .

التقط (عصام) سمّاعة الهاتف من زميله ، وقال فى اهتمام :

ـــ أنا (عصام) .. من المتحدّث ؟

(*) (توماس ألفا أديسون) (١٨٤٧ ـــ ١٩٣١) . أشهر مخترع فى العصر الحديث ، بدأ نبوغه وعبقريته وهو بعد فى العاشرة من عمره ، حيث أصدر جريدة خاصة ، كان يطبعها داخل قطار ، وكان له معمل كيميائى متكامل وهو فى الحادية عشرة من عمره . ويعود إليه فضل اختراع (١٣٠٠) اختراع حديث ، مثل المصباح الكهربى ، واللغراف ، والفونوجراف .

ارتجف جسده حينما أجابته ضحكة شيطانية ساخرة ، وسمع صوتًا أجشّ ، يقول فى نبرة تهكميّة :

ـــ ألم تعرفنى أيُها الصحفى النابه ؟.. أنا القاتل .

غمغم (عصام) فى دهشة وتوتُّر :

ـــ القاتل ؟!

أجابه نفس الصوت الساخر الأجش :

ـــ نعم أيها الصحفىّ .. أنا قاتل تاجر الطُّوابع .

* * *

تصلّبت قبضة (عصام) حول سمّاعة الهاتف ، وشعر بعجزه عن النطق لحظة ، قبل أن يغمغم فى صوت مختنق :

ـــ ماذا تريد ؟!

أجابه الصوت فى صرامة :

ـــ لقد وجدتم الطابع .. أليس كذلك ؟

تردّد (عصام) لحظة ، قبل أن يقول فى حِدّة :

ـــ وما شانك بذلك ؟

أجابه الرجل فى عصبية واضحة :

ـــ إنه ملكى .. هذا الطابع ملكى .. أنا صاحب المليون جنيه .

صمت (عصام) لحظـــة ، محاولًا التفـــكير فى جواب مناسب ، ثم قال :

ــ ولماذا لا تطالب به رسميًا ؟

أجابته ضحكة ساخرة ، قبل أن يجيب الرجل :

ــ هل تظننى ساذجًا أيها الصحفىّ الغبىّ ؟..

ثم تحوَّلت لهجته إلى الشراسة ، وهو يستطرد :

ــ أريد هذا الطابع .

وجد (عصام) نفسه يقول فى توتُّر :

ــ وكم ستدفع ثمنًا له ؟

هتف الرجل فى انفعال واضح :

ــ أهو معك ؟!

ترددَّ (عصام) لحظة ، ثم قررَّ مواصلة لُعبته ، فقال فى هدوء :

ــ نعم .. لقد عثرت عليه ، وأخفيته عن الجميع و ....

قاطعه الصوت فى شراسة :

ــ إنه ملكى .

أجابه (عصام) فى برود ، وقد بدأت اللُّعبة تستهويه :

ــ هذا يتوقَّف على الثمن الذى ستدفعه .

ساد الصمت لحظة ، ثم قال الرجل فى هدوء :

ــ حسنًا أيُّها الصحفى ، سنلعب لُعبتك معًا .. أنا مستعد لدفع المبلغ الذى تطلبه ، على أن أرى الطابع أولًا .

سأله (عصام) فى لهفة :

ــ متى ؟.. وأين ؟

أجابه الرجل فى هدوء :

ــ فى الثانية صباحًا ، عند سفح الهرم الأكبر .

ثم أردف فى سخرية :

ــ ولكن حذارِ من أيَّة محاولة للخداع ، فسأتأكَّد جيِّدًا من عدم وجود أى خداع ، قبل أن نلتقى ، وإلَّا فسيكون الموت نصيبك ، عند سفح الهرم ..

* * *

٨ ــ القاتل ..

ظلّ (عصام) ممسكًا بسمّاعة الهاتف دقيقة كاملة ، على الرغم من أن القاتل قد أنهى المكالمة ، ثم تخلّص من ذهوله بانتفاضة قويّة ، وأسرع يطلب قسم المتابعة الهاتفيّة فى الجريدة ، ويهتف فى لهفة واهتمام :

ــ (فوزى) .. أنا (عصام) .. هل يمكنك أن تعطينى رقم الهاتف ، الذى كنت أتحدّث إليه منذ لحظات ؟

ضحك (فوزى) ، وهو يقول :

ــ رقم الهاتف ؟!.. هل تظن أننا قسم شرطة فى (نيويورك) يا أستاذ (عصام) ؟.. إننا نتلقّى المكالمات الهاتفية ، ونحوّلها إليكم فحسب .

تنهّد (عصام) فى ضيق ، وقال :

ــ حسنًا يا (فوزى) .. يبدو أننى كنت متفائلًا أكثر من اللازم .

ووضع سمّاعة الهاتف ، وهو يفكّر فى المكالمة العجيبة فى توتُّر ، وغمغم يحادث نفسه فى خفوت :

ــ من الواضح أنه كان يتعمّد تغيير صوته ، ربّما استخدم منديلا ، أو غلافًا ورقيًا ، بين فمه وبوق سمّاعة الهاتف .

وتنهّد مرة أخرى ، قبل أن يستطرد فى خفوت أشد :

ــ ولكن من هو يا ترى ؟.. (ممدوح) ، أم (حسن) ؟

دار بخلده لحظة أنه من المحتمل أن يكون رجلا ثالثا ، لم يتطرّق إليه تفكيره ، أو تفكير (عماد) و (علا) إلّا أن الفكرة أقلقته فنحّاها جانبًا ، واعتمد بذقنه على قبضته المضمومة ، وعاد يفكّر فى الأمر ..

أيذهب لمقابلته ، أم يبلغ رجال الشرطة بالأمر ، ويترك لهم التعامل مع القاتل ؟

ظلّ يفكّر فى الأمر طويلًا ، ثم راودته فكرة إبلاغ (عماد) و (علا) ، واستشارتهما ، إلّا أن عقارب الساعة كانت تشير إلى منتصف الليل ، ولم يكن من اللائق أن يتصل بهما ، خاصة بعد رفض والدهما تورطهما فى القضية ..

انتزعه من أفكاره صوت زميل له ، يقول :

ــ هل ستقضى ليلتك كلها هنا ؟ .. لقد انتصف الليل ، وصدرت جريدة الغد بالفعل ، ولم يعد هناك إلا أنا وأنت .

تطلّع إليه (عصام) لحظة فى شرود ، ثم غمغم :

ـــ كلّا يا صديقى .. سأنصرف ، فعلىّ أن أستعدّ للقاء هام .

ضحك زميله ، وهو يقول :

ـــ لقاء على طريقة (شيرلوك هولمز) ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ـــ بل على طريقة (جيمس بوند) يا صديقى .

واستطرد فى مرح عصبىّ :

ـــ لقاء مع قاتل .

* * *

تلاشى حماس (عصام) ، واحتل القلق والتوتّر أعماقه كلها ، وهو يدور ببصره فى منطقة الهرم المظلمة ، فى الثانية صباحًا ، وتحوّل قلقه إلى ارتجافة باردة ، شملت جسده كله ، وجعلته يغمغم فى توتّر واضح :

ـــ يا إلهى !!.. كيف وافقت على مثل هذا اللقاء ؟.. إن المنطقة تبدو مقبضة تمامًا فى الليل ، حتى أنه يستطيع قتلى ، دون أن يشعر بمصرعى رجل واحد .

عادت تلك الارتجافة تسرى فى جسده كله ، حينما رأى أضواء سيارة تقترب من المكان ، وأغلق نصف عينيه ، مع سقوط

الضوء القوىّ على وجهه ، حتى أنه لم يستطع تبين نوع السيارة أو وجه قائدها ، إلا أنه حاول أن يبدو متماسكًا ، حتى لا يسيطر الخوف على ملامحه ، فيكشف طبيعة توتّره وقلقه ..

واقتربت السيارة فى سرعة ، وتضاعف مع اقترابها قلق (عصام) ، وبدأ يشعر أن ارتجافته باتت واضحة ، وأن محاولته للسيطرة على قلقه باءت بالفشل ، وأعماه ضوء السيارة تقريبًا ، وكأن قائدها يتعمّد منعه من الرؤية فى وضوح ، وهو يندفع بالسيارة نحوه بهذه السرعة ..

وفجأة .. وعلى الرغم من الضوء المبهر ، اتسعت عينا (عصام) فى ذهول ..

لقد اتضحت له بغتة الحقيقة المفزعة ..

إن هذا القاتل لم يكن ينوى مقابلته قط ..

لقد كان ينوى قتله ..

* * *

تنهّدت (علا) فى قوة ، وهى ترقد فى فراشها ، وهمهمت بكلمات غير مفهومة ، فسألها (عماد) ، الذى يرقد فى الفراش المجاور لها ، وهو يحاول أن يتطلّع إلى وجهها فى ظلام الحجرة :

ـــ ماذا بك يا (علا) ؟.. ألم يغلبك النوم بعد ؟

غمغمت (علا) فى ضيق :

ـــ لقد أرّقنى نفس السبب الذى يؤرقك يا (عماد) .

تنهّد (عماد) بدوره ، وغمغم :

ـــ أنا أيضًا أشعر بالضيق ؛ لأن والدنا منعنا من إتمام القضية يا (علا) .

أجابته (علا) فى حنق :

ـــ ولكننى لا أستطيع منع عقلى من التفكير فى القضية .. يا (عماد) .

ثم اعتدلت فى فراشها ، وهى تسأله فى اهتمام :

ـــ من تظنه القاتل يا (عماد) ؟

سألها فى هدوء :

ـــ قاتل من يا (علا) ؟

هتفت فى دهشة :

ـــ قاتل من ؟!.. قاتل (صادق) و (مجدى) بالطبع .

صمت لحظة ، ثم أجابها :

ـــ يجب أن نتأكّد أولًا من أن القاتل واحد فى الجريمتين يا (علا) .

قفزت جالسة على طرف فراشها ، وهى تسأله فى لهفة :

ـــ هل تعنى أنه من المحتمل أن يكون هناك قاتلان ؟

تردّد لحظة ، ثم أجاب :

ـــ محتمل .

عقدت حاجبيها الصغيرين ، وهى تفكّر فى الأمر بعمق ، ثم هتفت فجأة :

ـــ يا إلهى !!.. هذا صحيح يا (عماد) .. من المحتمل أن يكون هناك قاتلان .

جلس بدوره على طرف فراشه ، دون أن يحاول أحدهما إضاءة الحجرة ، وقال فى اهتمام بالغ :

ـــ هل تعلمين يا (علا) ؟.. هناك وسيلة لم تخطر ببالنا ، على الرغم من أنها كانت ستوفّر لنا الكثير من الوقت .

سألته فى اهتمام :

ـــ ما هى ؟

أجابها وهو يعتدل فى مجلسه ، كعالم كهل ، يستعد لشرح نظريّة جديدة :

ـــ لو أننا استطعنا الحصول على صور فوتوجرافية واضحة للمشتبه فيهم ، فربما أمكننا العثور على شخص رأى القاتل ، وهو يدخل إلى متحر (صادق) ، لحظة الحادث .

غمغمت (علا) ، وهى تفكر فى عمق :

ــ وهل تعتقد أننا سنجد شخصا رأى القاتل فى منتصف الليل ؟

هزّ كتفيه الصغيرتين ، وهو يقول :

ــ من يدرى ؟.. ربما .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم هتفت (علا) فى حماس :

ــ نعم يا (عماد) .. سنبدأ البحث غدا .

غمغم (عماد) فى أسف :

ــ وهل سيمكنك إقناع أبى يا (علا) ؟

صدمتها عبارته ، فغمغمت فى حنق :

ــ فلنقم بتحرياتنا يا (عماد) ، ولنشرح موقفنا لوالدى فيما بعد .. المهم أن نصل إلى القاتل يا (عماد) ، مهما كان الثمن .

* * *

٩ ــ وتشابكت الأحداث ..

اندفعت سيارة القاتل نحو (عصام) فى سرعة ، وأضواؤها تبهر عينيه تماما ، وبات مصرعه قاب قوسين أو أدنى ، إلا أن غريزة البقاء ، التى تملأ نفس كل كائن حىّ ، جعلته يقفز جانبا ، ويلقى جسده فوق الرمال ، ويتركها تغمره ، فى حين عبرت السيارة إلى جواره تماما ، قبل أن يوقفها قائدها فى حدّة ، ثم يعودُ بها إلى الوراء ، ليندفع بها مرة ثانية ، محاولا قتل (عصام) .

نهض (عصام) فى سرعة ، دفعه إليه خوفه وتوتّره ، وانطلق يعدو أمام السيارة ، التى غمرته أضواؤها ، وهى تنطلق خلفه فى إصرار ، حتى شعر بها تكاد تلامس ظهره ، فانحرف فجأة يسارًا ، وأخذ يعدو نحو الهرم نفسه ، فى حين استدار قائد السيارة فى مهارة ، وعاد يواصل مطاردته فى شراسة ..

وأخذ (عصام) يلهث فى قوّة ، من أثر المجهود والانفعال ، وهو يحاور السيارة ، ويناورها فى مهارة صنعها الخوف ، حتى وصل إلى منطقة تناثرت فيها الصخور ، فقفز

حبس (عصام) أنفاسه ، وهو يسمع الأقدام تقترب منه فى حذر ..

فوق صخرة ضخمة ، واختفى خلفها لحظة ، ثم أخذ يزحف فوق الرمال فى سرعة كالثعبان ، متسترًا بصخور أقل ضخامة ، حتى وصل إلى منطقة ضيقة ، بين صخرتين ، فدس جسده فى الفراغ بينهما ، وأخذ يلهث ..

وتوقفت السيارة ، وإن لم يطفئ قائدها أضواءها المبهرة ، ثم سمع (عصام) صوت بابها يُفتح ، ويغلق فى قوة ، ثم خيل إليه أنه يسمع أصوات أقدام ، تقترب من مكمنه ..

حبس (عصام) أنفاسه ، وهو يسمع الأقدام تقترب منه فى حذر ، وراودته لحظة فكرة الهجوم على القاتل ، إلا أن الإرهاق الشديد الذى يشعر به ، جعله يستبعد تلك الفكرة تمامًا ، ويلتزم الصمت والسكون ، حتى بدا له صوت أقدام القاتل وهو يبتعد فى سرعة ، ثم صوت باب السيارة ، قبل أن ينطلق بها قائدها مبتعدًا ..

ظل (عصام) فى مكمنه ، حتى ابتعد صوت السيارة تمامًا ، ثم تنهد فى ارتياح ، وخرج من مخبئه ، وتطلع إلى أضوائها التى تبتعد فى سرعة ، وغمغم فى توتر :

ـ يا إلهى !!.. كدت تصبح القتيل الثالث يا (عصام) .

ثم تخضب وجهه بحمرة الخجل ، وهو يستطرد فى حنق :

ــ ولكن هذا لا يمنع أنك فررت من القتال فى رعونة سخيفة .

وازداد توترَ نبراته وخجله ، وهو يردف :

ــ ترى كيف ستبرّرْ موقفك لـ (عماد) و (علا) ؟

* * *

لم يكن الأمر بالصعوبة التى تصوّرها (عصام) ، فقد استمع إليه (عماد) و (علا) فى اهتمام ، فى اليوم التالى ، فى حديقة النادى ، ثم سأله (عماد) :

ــ ألم تر نوع السيارة ، أو لونها ؟

تضرّج وجه (عصام) بحمرة الخجل ، وهو يقول :

ــ كلّا يا (عماد) ، فقد كنت أختبئ فى ..

وبتر عبارته فجأة ، وهو يهتف فى عصبية :

ــ أمن الضرورىَ أن أشرح ذلك فى كلّ مرّة ؟

تطلّع إليه (عماد) و (علا) فى دهشة ، وغمغمت (علا) :

ــ ماذا يضايقك يا أستاذ (عصام) ؟

مطّ (عصام) شفتيه ، وأشاح بوجهه ، وهو يغمغم :

ــ إنكما تتهماننى بالجبن ، أليس كذلك ؟

هتفت (علا) فى استنكار :

ــ كلّا بالطبع .

ثم اندفع (عماد) يقول :

ــ هناك فارق كبير بين الشجاعة والتهوّر يا أستاذ (عصام) ، وبين الحذر والجبن ، فلقد كان يهاجمك قاتل ، أثبتت الأحداث الماضية أنه لا يتورّع عن أى عمل ، وأنت مرهق ، منهك ، ولا تدرى شيئا عمّا يمكن أن يحمله من أسلحة ؛ لذا فقد كان من الضرورى أن تختبئ .

صمت (عصام) لحظة ، ثم ابتسم وهو يتمتم :

ــ نعم .. أظن ذلك .

اعتدل (عماد) وهو يقول فى اهتمام :

ــ هل يمكنك الحصول على صور المشتبه فيهم يا أستاذ (عصام) ؟

سأله (عصام) فى دهشة :

ــ أعتقد ذلك ، ولكن لماذا ؟

أخذ (عماد) و (علا) يشرحان له فكرتهما ، حتى انتهيا ، فعقد حاجبيه فى تفكير عميق ، قبل أن يهتف فى حماس :

ــ إنها فكرة جيّدة يا صغيرىَ .. وأنا واثق أنها ستحمل إلينا مفاجأة .

تبادل (عماد) و (علا) نظرة غامضة ، ثم قالت (علا) :

ــ نعم يا أستاذ (عصام) .. ستحمل إلينا مفاجأة .

* * *

استغرق البحث ثلاث ساعات كاملة ، فى المنطقة التى حدثت فيها الجريمة ، دون أن يتوصّل (عماد) و (علا) و (عصام) إلى أية نتيجة ، حتى كاد اليأس يملأ قلوبهم ، وهتفت (علا) فى حنق :

ــ يبدو أنها كانت فكرة سخيفة .

غمغم (عماد) فى ضيق :

ــ لا داعى لليأس بسرعة يا (علا) .

وتنهّد (عصام) ، وهو يقول :

ــ دعونا من الحديث ، ولنواصل بحثنا يا صغيرىَ .

ثم اتجه إلى كشك حلوى صغير ، وسأل صاحبه :

ــ متى تنتهى من عملك يا رجل ؟

حدجه صاحب الكشك بنظرة قلقة متشكّكة ، ثم غمغم :

ــ بعد منتصف الليل بكثير يا سيّدى .. لِمَ تسأل ؟

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يسأله :

ــ هل كنت تعمل حتى بعد منتصف الليل ، ليلة مَصرع السيّد (صادق) ، تاجر الطوابع ؟

ارتبك الرجل ، وهو ينقل بصره بين (عصام) ، و (عماد) ، و (علا) ، ثم غمغم فى توتُّر :

ــ أأنت من رجال الشرطة ياسيّدى ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول فى همس :

ــ اطمئن يا رجل . لن يعلم أى مخلوق بما قد تخبرنى به .

تلفّت الرجل حوله فى قلق ، ثم مال نحو (عصام) ، وهمس فى توتُّر :

ــ لقد رأيته .

جذبت العبارة انتباه (عماد) و (علا) فى شدّة ، وهتف (عماد) :

ــ رأيت من ؟

عاد الرجل يتلفّت حوله فى مزيد من القلق والتوتُّر ، قبل أن يهمس فى عمق :

ــ رأيت قاتل الأستاذ (صادق) (رحمه الله) .

* * *

حدّق (عماد) و (علا) فى وجه الرجل بدهشة بالغة ، فى حين هتف (عصام) فى صوت مختنق :

ــ كيف ؟.. كيف رأيته ؟

تردّد الرجل لحظة ، وكأنه شعر بأنه قد أوقع بنفسه فى مأزق ، ثم لم يلبث أن شعر بعدم جدوى التراجع ، فاعتدل ، واكتسبت ملامحه اهتماما كبيرا ، وهو يقول :

ـــ كنا بعد منتصف الليل بنصف ساعة تقريبا ، حينما رأيته يدخل إلى المتجر فى هدوء ، ولم يكن ذلك ليثير انتباهى ، لولا أنه خرج بعد خمس دقائق على الأكثر ، والتوتّر واضح فى كل خلجة من خلجاته ، ولقد أدهشنى أنه اندفع فى خطوات سريعة للغاية ، هى أقرب إلى العدو منها إلى السير ، وقد بدا وكأنه يخشى أن يلمحه أحد ، وعلى الرغم من غرابة الموقف ، إلا أننى لم أهتم به إلّا فى اليوم التالى ، حينما علمت بأمر مقتل التاجر .

هتف (عصام) فى استنكار :

ـــ ولماذا لم تخبر رجال الشرطة بكل هذا ؟

ارتجف الرجل ، وشحب وجهه ، وهو يقول فى ضراعة :

ـــ إننى رجل مسكين يا سيّدى ، لن أحتمل تحقيقات الشرطة ، واستجواباتها .

تبادل (عصام) نظرة قلقة حائرة ، مع (عماد) و (علا) ، ثم هتفت (علا) فى لهفة :

ـــ وهل يمكنك تعرّف ذلك القاتل ، لو أنك رأيته ؟

هتف الرجل فى حماس :

ـــ بلا شك .. إن ملامحه محفورة فى ذهنى منذ تلك الليلة .

أسرع (عصام) يخرج صور المشتبه فيهم ، ويناولها للرجل ، وهو يسأله فى لهفة :

ـــ حسنًا .. تطلّع إلى هذه الصور جيّدا ، وأخبرنا من هو .

ألقى الرجل نظرة فاحصة على الصور الثلاث ، ثم التقط واحدة ، وقال :

ـــ ها هوذا .. قلت لكم إننى لن أفشل فى تعرّفه أبدا .

اختطف (عصام) الصورة ، من بين أصابع الرجل ، واتسعت عيناه فى ذهول ، وهو يحدّق فيها مغمغما :

ـــ ولكن .. هذا مستحيل .

هتف (عماد) و (علا) فى لهفة شديدة :

ـــ من هو يا أستاذ (عصام) ؟.. من هو ؟

التفت إليهما والدهشة تملأ أعماقه ، وغمغم فى ذهول لم يفارق صوته بعد :

ـــ إنه .. إنه (مجدى خليل) .. القتيل الثانى !!

* * *

١٠ ــ من الجانى ؟

ران الصمت تماما على (عصام) و (عماد) و (علا) ، فى حديقة النادى ، قبل أن يهتف (عصام) فى حنق :

ــ هذا الرجل أبله بالتأكيد .. من المستحيل أن يكون قد رأى (مجدى) ، فالقاتل لا يمكن أن ..

قاطعه (عماد) فى هدوء :

ــ لا تنس يا أستاذ (عصام) ، أنه من المحتمل ألا يكون قاتل (مجدى) هو نفسه قاتل (صادق) .

هتف فى توتر :

ــ كيف ؟.. هل تحوّل العالم كله إلى قتلة ؟

قالت (علا) :

ــ وربما كان (مجدى) قد وصل إلى المتجر بعد مصرع (صادق) ، وهذا ما جعله يغادره بسرعة فى توتر وذعر .

لوّح (عصام) بذراعيه ، وهو يقول :

ــ هذا يعيدنا إلى نقطة البداية ، وإلى السؤال الأول ، من الجانى ؟.

عاد الصمت يخيّم مرة أخرى ، ثم قال (عماد) :

ــ هناك نقطة يمكنها أن توضح لنا ذلك .

سأله (عصام) فى لهفة :

ــ ما هى ؟

اعتدل (عماد) ، وهو يقول :

ــ ينبغى أن نعلم كيف عرف (ممدوح حامد) و (حسن عشماوى) بمصرع (صادق) ، قبل نشر الأمر ، فإجابة كل منهما قد تقودنا إلى القاتل الحقيقى .

عاد الصمت يغلّفهم لحظة أخرى ، ثم غمغم (عصام) فى لهجة حازمة :

ــ حسنا يا (عماد) .. سنبحث هذه النقطة ، باعتبارها أملنا الأخير ، وسأذهب أنا إلى (ممدوح) ، وعليكما أن تذهبا إلى (حسن) ، وليكشف هذا اللغز أسراره ، ويزيل غموضه .. فلقد أصابنى بحنق الدنيا كله .

* * *

استقبل (ممدوح) (عصام) بابتسامة ساخرة ، وعينين باردتين ، فى حين استقبله الكلب (ركس) بزمجرة ، كشفت عن أنيابه الحادة ، وغمغم (ممدوح) :

ـــ كم يسعدنى استقبالك مرة أخرى أيها الصحفىّ .

ابتسم (عصام) ابتسامة باردة بدوره ، وهو يقول :

ـــ أتعشّم أن تنتهى الزيارة ، دون أن تذهب سعادتك يا سيّد (ممدوح) .

هزّ (ممدوح) كتفيه فى لا مبالاة ، وقال :

ـــ اطمئن أيّها الصحفى ، إننى هادئ الطباع هذا الصباح ، ولن أطلق كلبى (ركس) لمطاردتك .

قال عبارته ، وأطلق ضحكة ساخرة ، دفعه (عصام) إلى بترها فجأة ، حينما سأله فى حدّة :

ـــ كيف علمت بمصرع (صادق) يا سيّد (ممدوح) ؟

حدجه (ممدوح) بنظرة باردة ، استغرقت لحظة قصيرة ، قبل أن يلوّح بكفه ، قائلا :

ـــ إن أخبار مصرعه تملأ الصحف أيها الصحفىّ .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ أعنى كيف علمت بالأمر ، قبل أن تنشر الصحف ذلك ؟

مطّ (ممدوح) شفتيه لحظة ، وقال فى هدوء :

ـــ لو أنك راجعت حديثك معى فى المرة السابقة ، لوجدت أنك تحدّثت على نحو يجعل من السهل استنتاج أنه قُتل .

استرجع (عصام) تفاصيل حديثهما السابق فى سرعة ، ووجد أن (ممدوح) على حق ، فعاد يسأله .

ـــ ألم تذهب إلى متجر (صادق) ليلة مصرعه ؟

هزّ (ممدوح) رأسه نفيا فى برود ، وقال فى اقتضاب :

ـــ كلّا .

كان من الواضح أن مواصلة الحديث لن تجدى أكثر من ذلك . فنهض (عصام) ، وهو يقول :

ـــ حسنًا يا أستاذ (ممدوح) .. شكرًا لتعاونك ، وربّما التقينا مرّة أخرى .

ابتسم (ممدوح) ابتسامة باردة ، وهو يغمغم :

ـــ نعم .. ربّما .

ثم أطلق ضحكة ساخرة ، أرسلت قشعريرة باردة فى جسد (عصام) ، وهو يغادر المكان فى خطوات سريعة ..

* * *

ارتسمت على شفتى (حسن عشماوى) ابتسامة باهتة ، وهو يستقبل الصغيرين (عماد) و (علا) ، ولوّح بذراعه ، وهو يقول فى لهجة مرحة ، واضحة الزيف :

ـــ كيف حالكما يا صغيرىّ ؟.. معذرة ، فأنا منهمك فى إعداد دليل جديد لهواة جمع طوابع البريد ، ولن يمكننى ..

قاطعته (علا) فى برود :

ــ إننا نحتاج إلى دقيقتين من وقتك على الأكثر يا سيّد (حسن) .

عقد (حسن) حاجبيه ، وتخلّى عن محاولته الزائفة للتظاهر بالمرح ، وهو يقول فى خشونة :

ــ ماذا تريدان ؟

سأله (عماد) فجأة :

ــ كيف علمت بمصرع (صادق حسّان) ، قبل أن تنشر الصحف ذلك ؟

امتقع وجه (حسن) ، وغمغم فى عصبية :

ــ وما شأنكما بذلك ؟

ولوّح بذراعه فى حنق ، وهو يستطرد :

ــ هل نسيتما أنكما مجرد طفلين و ... ؟

قاطعته (علا) فى حدّة :

ــ لقد قتلته يا سيّد (حسن) .

اتسعت عينا (حسن) فى ذعر ، وهو يهتف :

ــ أنا ؟!.. ماذا تقولين يا صغيرة ؟

اندفع (عماد) يقول :

ــ القاتل وحده يعلم بمصرع ضحيته ، قبل أن ينتشر الأمر .

صاح (حسن) فى سخط وغضب :

ــ أنتما معتوهان ولاشك .. غادرا مكتبى على الفور .

ثم أردف فى توتّر :

ــ وما شأنى أنا بمقتل تاجر الطوابع أيها الغبيّان ؟

عادت (علا) تقول فى صرامة :

ــ لقد قتلته أنت يا سيّد (حسن) .

ضرب (حسن) مكتبه بقبضته فى قوّة ، وهو يصرخ :

ــ أنت مجنونة .. أنتما مجنونان .. غادرا مكتبى .. على الفور .

ثم أشار إلى مكتبه ، وأغلفة كتبه المعلّقة خلفه ، وهو يهتف :

ــ ماذا تظنان حتى تنطقا بهذا الاتهام الجائر ؟.. هل ظننتما أن هذا العمل الثقافى الكبير ، الذى أتشرّف بأدائه ، يخفى خلفه قاتلاً ؟.. هل تتصوران أنكما ستجدان قصة مثيرة ، إذا ما انتزعتما غلاف أحد كتبى فى قسوة ؟

تبادل (عماد) و (علا) نظرة دهشة ولهفة مفاجئة ، ثم

هتفت (علا) فى سعادة مباغتة ، أثارت دهشة (حسن) تمامًا :

ــ شكرًا يا سيِّد (حسن) .. شكرًا .. لقد ساعدتنا بأكثر مما تتصوَّر .

وقبل أن تتلاشى دهشة (حسن) ، كانت قد اندفعت مع شقيقها خارج دار النشر ، وعيونهما تتألق ببريق عجيب .

* * *

١١ ــ خلف الجريمة ..

اتسعت عينا (عصام) فى دهشة ، وهو يستمع إلى (عماد) و (علا) ، ثم هتف فى حَيْرة :

ــ ولكن هذا عجيب !! .. أتدريان إلى ماذا سيقودنا هذا ، لو أن استنتاجكما سليم ؟

أومأ كلاهما برأسه فى أسف ، وغمغمت (علا) :

ــ نعم .. سيؤلم ذلك (سهام) كثيرًا .

تنهد (عصام) ، وهو يتمتم فى ضيق :

ــ ماذا ستفعل المسكينة يا ترى ، حينما تعلم أن والدها ... ؟

لم يستطع إكمال عبارته ، فاكتفى بتحريك رأسه فى أسف ، فى حين قال (عماد) :

ــ فلنؤجل ذلك حتى نلتقى بها ، فها نحن أولاء أمام منزلها .

واستقبلتهم (سهام) بمزيج من الدهشة والترحاب ، وقادتهم إلى حجرة الجلوس القديمة ، وهى تغمغم فى قلق واضح :

ــ تسعدنى زيارتكم بالطبع ، ولكننى أتساءل .

قاطعها (عماد) فى هدوء :

ـ أمازلت تحتفظين بوصية والدك (رحمه الله) يا آنسة (سهام) ؟

تطلَّعت إليه (سهام) فى دهشة ، ثم هتفت فى غضب :

ـ بالطبع .. هل نسيت أن والدى قد لقى مصرعه أمس فقط ؟

تخضَّب وجه (عماد) بحمرة من الخجل ، فى حين قالت (علا) :

ـ نحن لم نقصد مضايقتك يا آنسة (سهام) ، ولكننا نحتاج لرؤية الوصية للضرورة القصوى .

تردَّدت (سهام) لحظة ، ثم التقطت من طيات ثيابها ذلك المظروف ، الذى يحوى وصية والدها ، وناولته إلى (عصام) ، ربَّما لأنه أكبرهم سنًّا ، وهى تغمغم :

ـ ها هى ذى ، ولكن ماذا تريدون منها ؟

أخرج (عصام) الوصية من المظروف ، ورفع المظروف نفسه إلى أعلى ، ليصبح بين عينيه ومصباح الحجرة لحظة ، ثم ناوله لـ (عماد) و (علا) ، وهو يقول فى انبهار واضح :

ـ لقد كنتما على حق يا صغيرىَّ .. إنه هنا .

هتفت (سهام) ، وهى تنقل بصرها بينهم فى حَيْرة :

تردَّدت (سهام) لحظة ، ثم التقطت من طيات ثيابها ذلك المظروف ، الذى يحوى وصية والدها ، وناولته إلى (عصام)

ـــ عمَّ تتحدثون ؟

أشار (عماد) إلى الطابع الكبير الأنيق ، فى الركن العلوى الأيمن من المظروف ، الذى يحوى وصية والدها ، وقال فى هدوء :

ـــ عن أول طابع فى العالم يا آنسة (سهام) .. لقد عثرنا عليه .

هتفت فى دهشة ولهفة :

ـــ أين ؟ .. إنك تشير إلى طابع عادىّ ، فوق المظروف !

أومأ (عماد) برأسه إيجابًا فى هدوء ، فى حين هتفت (علا) فى حماس :

ـــ نعم يا آنسة (سهام) .. ولو أنك نزعت هذا الطابع العادى ، لوجدت تحته الطابع الذى نتحدث عنه ، والذى أريقت من أجله دماء والدك والأستاذ (صادق) .

وغمغم (عماد) فى صوت عميق :

ـــ طابع الموت .

* * *

لم تستطع (سهام) إخفاء توترها ، وهى ترقب (عماد) ، الذى انهمك فى تعريض المظروف لبخار الماء ، الناتج من فوهة إناء طهو فوق الموقد ، وهتفت به فى قلق واضح :

ـــ ألا يمكنك الإسراع ؟... أنا لا أطيق الانتظار

أجابتها (علا) فى هدوء :

ـــ هذا غير ممكن يا آنسة (سهام) ، فبخار الماء يذيب المادّة الصمغية ، التى تثبّت الطابع ، ولو تعجّلنا انتزاعه ، سيفسد الطابع الآخر أسفله .

عقدت (سهام) حاجبيها ، وهى تقول فى توتّر :

ـــ لن أصدّق حتى أرى بعينىّ .

مدّ (عماد) سبابته وإبهامه فى هدوء ، وانتزع الطابع العادىّ فى حذر ، ثم أشار إلى الطابع الآخر ، الذى يبدو واضحًا أسفله ، والذى يحمل صورة الملكة (فيكتوريا) باللون الأسود ، وقال فى انفعال هادئ :

ـــ ها هو ذا طابع الموت .

ارتجف جسد (سهام) ، واتّسعت عيناها فى ذعر ، وكأنها لم تكن تتوقّع رؤية الطابع ، على الرغم من تأكيد (عماد) و (علا) و (عصام) ، وتراجعت وهى تغمغم فى صوت متحشرج مختنق :

ـــ كيف علمتما بوجوده ؟.. كيف عرفتما ؟

أجابتها (علا) فى إشفاق :

ـــ لقد أخبرنا والدك يا آنسة (سهام) .

ازداد اتساع عينى (سهام) ، حتى كادتا تقاربان الجحوظ ، وهى تهتف فى ذهول :

ـــ أخبركما والدى ؟!!

رفع (عماد) الوصية أمام عينيه ، وهو يجيب فى هدوء :

ـــ نعم يا آنسة (سهام) .. أخبرنا فى وصيته تلك .

* * *

ارتجفت أصابع (سهام) ، وهى تقرأ الوصية للمرة الرابعة ، قبل أن تهتف فى سخط وألم :

ـــ لست أجد ما يشير إلى أمر الطابع مطلقًا ، على الرغم من قراءتى للوصية أربع مرات .

أجابتها (علا) فى هدوء :

ـــ لقد قرأت سطورها يا آنسة (سهام) ، ولم تحاولى قراءة ما بين السطور .

هتفت (سهام) فى دهشة :

ـــ ما بين السطور ؟

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا فى إشفاق ، دون أن ينطق بكلمة ، فى حين التقط (عماد) الوصية ، وهو يقول :

ـــ اسمعى هذه العبارة : « ولكننى فى الوقت نفسه تركت لك

ثروة من الطوابع ، ولا تستهينى بالطوابع يابنتى ، فقد تجدين خلفها ثروة ضخمة » .

ثم ابتسم ، قبل أن يستطرد فى هدوء :

ـــ لقد كانت محاولة منه (رحمه الله) لإرشادك إلى وجود الطابع النادر خلف الطابع الآخر ، الذى وضعه على المظروف .

وأسرعت (علا) تقول :

ـــ لقد تنبّهت أنا و (عماد) فجأة إلى أنه ليس من الطبيعى أن يضع شخص ما طابع بريد ، على مظروف يحمل وصيته ، خاصة وأن العبارة على المظروف ، تؤكد أنه لم يكن ينوى إرساله بالبريد ، وهنا تذكّرنا تلك العبارة فى وصية والدك ، وفهمنا منها كل شىء .

حدّقت (سهام) فى وجههما بدهشة ، وهى تهتف :

ـــ أنتما ؟!.. كيف أمكنكما التفكير على هذا النحو ..؟

أجابها (عصام) فى هدوء :

ـــ لا تحاولى التفكير فى ذلك يا آنسة (سهام) .. تخيلى أنهما فى الخامسة والعشرين ، وستبدو لك الأمور طبيعية ..

تطلّعت إليه (سهام) فى حيرة ، وكأنها لم تفهم عبارته ، ثم عادت تلتفت إلى (عماد) و (علا) ، وتسألهما فى قلق :

ـ ولكن كيف حصل والدى على هذا الطابع ؟

تبادل (عماد) و (علا) نظرة مشفقة ، ثم غمغم (عماد) :

ـ أنت تعلمين أن تاجر الطوابع قد لقى مصرعه من أجل هذا الطابع .

اتسعت عينا (سهام) ، وهى تغمغم فى ذعر :

ـ كلا .. لا تقولا ذلك .. هل تتهمان والدى بقتله ؟

تنهدت (علا) ، وقالت فى إشفاق :

ـ استمعى إلىّ يا آنسة (سهام) ، ويؤسفنى أن ما سأقوله لن يعجبك .

وازداد اتساع عينى (سهام) ، وهى تستمع إليها فى ذعر وألم ..

* * *

١٢ ـ واحد من ثلاثة ..

زمجر الكلب (ركس) فى شراسة ، حينما استقبل سيده (ممدوح) كل هذا العدد من البشر ، ولم يستطع (ممدوح) نفسه ، على الرغم من بروده التقليدى ، إخفاء دهشته ، وهو ينقل بصره بين (عماد) ، و (علا) ، و (سهام) ، و (حسن عشماوى) ، قبل أن يبتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـ مرحبًا بكم فى ڤيلتى أيها السادة ، ولكن هل لى أن أعلم سر هذه الزيارة الجماعية المفاجئة ؟

قلَّب (حسن) كفيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ـ لست أملك تفسيرًا يا سيِّد (ممدوح) ، فلقد حضر الأستاذ (عصام) الصحفى إلى مكتبى ، وطلب منى الحضور إلى هنا للأهمية القصوى .

عقد (ممدوح) حاجبيه ، وهو يغمغم فى شك :

ـ أهمِّيَّة قصوى ؟! .. وما هذه الأهمِّيَّة القصوى ؟

أجابته (سهام) فى حزن ، وهى تشير إلى (عماد) و (علا) :

ـــ لقد توصّل الصغيران إلى معرفة جامع الطوابع ، الذى قتل والدى يا سيِّد (ممدوح) .

ارتفع حاجبا (ممدوح) فى دهشة ، قبل أن تستعيد ملامحه برودها ، وهو يقول :

ـــ وما شأنى أنا بعبث الأطفال هذا ؟

قالت (علا) فى هدوء :

ـــ معذرة يا سيِّد (ممدوح) ، ولكننا كنا نحتاج إلى جمع الجميع فى مكان واحد ، ولم يكن هناك أفضل من ڤيلتك .

ابتسم (ممدوح) فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ وهل أخبرك أحد أن ڤيلتى قاعة اجتماعات أيتها الصغيرة ؟

قال (عماد) :

ـــ تقبَّل أسفنا يا سيِّد (ممدوح) ، فلن يستغرق الأمر طويلًا ، إذ لدينا شاهد عيان .

ارتجف جسد (حسن عشماوى) ارتجافة واضحة ، وشحب وجهه فى شدة ، وهو يغمغم :

ـــ شاهد عيان ؟!

أجابه (عماد) فى هدوء :

ـــ نعم يا سيِّد (حسن) .. شاهد رأى القاتل ، وهو يقتل (صادق حسّان) .

هتف (ممدوح) فى حدّة :

ـــ أى تخبط هذا ؟.. أهو قاتل (صادق) ، أم قاتل (مجدى) ؟

أجابه (عصام) فى برود :

ـــ لا تتعجّل الأمور يا سيِّد (ممدوح) ، سيتضح كل شىء بعد لحظات .

ثم اتجه إلى باب الڤيلا ، وفتحه ، وهو يقول :

ـــ ها هو ذا الشاهد أيها السادة .

تحوّلت عيون الجميع إلى الشاب المرتبك ، الذى يقف أمام الباب ، والذى تقدّم إلى الداخل فى خطوات حذرة ، وهو ينقل بصره بين الجميع ، وسأله (عماد) فى هدوء :

ـــ ماذا رأيت ليلة الحادث يا أستاذ (توفيق) ؟

ازدرد الشاب لعابه على نحو واضح ، وقال :

ـــ أنا مهندس ، أعمل فى مشروع مترو الأنفاق الجديد ، وأهوى جمع طوابع البريد ، ولقد كنت عائدًا من عملى فى وقت متأخر ، بعد انتصاف الليل بقليل ، حينما رأيت متجر (صادق)

مفتوحا ، ففكرت فى إلقاء نظرة على الطوابع الجديدة لديه ، وحينما تقدمت من المتجر .. رأيت .. رأيت ..

تلعثم الشاب ، وارتبك ، فعادت (علا) تسأله فى اهتمام :

ــ ماذا رأيت يا أستاذ (توفيق) ؟

دار الشاب ببصره فى وجوه الحاضرين ، ثم قال :

ــ رأيت رجلا يقف خلف (صادق) ، ويحيط رقبته بشىء ما ، ويخنقه فى قوة وقسوة ، والمسكين يحاول المقاومة فى يأس ، حتى خارت قواه ، ولفظ أنفاسه .

ازدرد الشاب لعابه مرة أخرى ، قبل أن يستطرد :

ــ انتابنى الذعر ، وأسرعت أختبئ فى ركن مظلم ، حينما رأيت رجلا ثانيا يدخل إلى المتجر فى هدوء ، فاختلست النظر إليه ، وأدهشنى أن القاتل لم يكن بالداخل ، أو أنه كان مختفيا فى مكان ما ، ورأيت الرجل الثانى يبحث بعينيه عن صاحب المتجر ، ثم لم يلبث أن تراجع فى ذعر ، حينما رأى جثته ، وأخذ يرتجف فى قوة ، ثم رأيته يحدق فى شىء ما ، ثم يلتقطه فى لهفة ، ويدسه فى جيب سترته ، ثم يندفع خارجا ، ويبتعد فى خطوات أقرب إلى العدو ، وأنا اختبئ فى ذلك الركن المظلم ، وحينما ابتعد الرجل ، عدت أختلس النظر إلى الخارج ، فرأيت القاتل فى ثورة

غضبه ، وهو يبحث عن شىء ما ، قبل أن يتحرك نحو باب المتجر ..

وزفر الشاب فى قوة ، وكأنه ينفض عن ذاكرته تلك اللحظات المفزعة ، قبل أن يردف :

ــ أسرعت أختبئ وأنا أرتجف من قمة رأسى ، حتى أخمص قدمى ، وعبر القاتل الطريق على بعد خطوات منى ، ورأيت وجهه فى وضوح ، وأنا أحبس أنفاسى فى رعب ، وظللت هكذا متجمدا كالتمثال ، وأنا أتابعه ببصرى ، دون أن أجرؤ على مغادرة مخبئى ، حتى رأيت رجلا ثالثا ، يدخل إلى المتجر فى هدوء ، ثم لم يلبث أن رأى جثة (صادق) ، فتراجع فى ذعر ، وغادر المكان فى سرعة ، دون أن يلتفت خلفه .

سأله (سهام) فى انفعال :

ــ إذن فقد رأيت القاتل !!

أجابها الشاب فى تأكيد :

ــ نعم يا آنسة ، رأيته بكل وضوح .

سأله (عصام) :

ــ هل تراه هنا وسطنا ؟

دار الشاب ببصره بين وجوههم ، وقال فى حزم :

ـ نعم .. إنه هنـا ..

هتف (عماد) :

ـ مَنْ هو يا أستاذ (توفيق) ؟

عقد (ممدوح) حاجبيه فى صرامة ، وبدا وجه (حسن) شاحبًا كالموتى ، عندما التفت الشاب إليهما ، وأشار إلى أحدهما ، وهو يقول فى لهجة حاسمة ، تشف عن الثقة والتأكيد :

ـ ها هو ذا .

وزمجر الكلب (ركس) فى شراسة وتحفُز ، فقد كان (توفيق) يشير إلى سيِّده ..

إلى (ممدوح حامد) ..

* * *

١٣ ـ الحقيقـة ..

التقت عيون الجميع عند وجه (ممدوح) ، الذى اكتسى بمسحة من الغضب ، وهو يقول :

ـ أى هـراء هذا ؟.. هذا الرجل كاذب .

قالت (علا) فى صرامة :

ـ لقد رآك يا سيِّد (ممدوح) .

لوَّح (ممدوح) بذراعه ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـ هـذا مستحيل .

سـأله (عماد) فى حدَّة مماثلة .

ـ مستحيل ؟ لماذا يا سيِّد (ممدوح) ؟

صـاح (ممدوح) فى تحدٍّ :

ـ لا يمكنـه أن يرى موضع الجريمة من خـلال الزجـاج الخارجى لواجهة المتجر ؛ لأن ..

بتر عبارته فجأة ، حينما تبيَّن له الفخ ، الذى قاده إليـه (عماد) فى براعة ، واحتقن وجهـه غضبًـا ، حينما ابتسم (عصام) فى سخرية ، وهو يقول :

وانتزع من طيّات ثيابه مسدّسًا ، أطلق منه رصاصه صائبة
نحو الكلب أصابته فى رأسه تمامًا ..

ــ هأنذا تقع فى الفخ أيُها القاتل ، فأنت وحدك تعلم كيف وأين قتلت (صادق) ؟

صاح (ممدوح) فى غضب :

ــ أيها الأوغاد .

ثم دفع كلبه وهو يصرخ :

ــ اهجم يا (ركس) .. اقتلهم يا (ركس) .

وانطلق هو يعدو فى الاتجاه المضاد ، فى حين قفز (ركس) نحو الآخرين ، وهو يطلق زمجرة مرعبة ..

* * *

كان الكلب الضخم فى قفزته يبدو كوحش كاسر ، ومظهره يثير الرعب فى القلوب ، ولقد انتقى أصغر فردين فى المجموعة ، ليبدأ بهما معركته ..

اختار (عماد) و (عُلا) ..

ولكن الأحداث تحرّكت فجأة فى سرعة وغرابة ، فقد ألقى الشاهد الشاب (توفيق) عنه ثوب الإرتباك والتلعثم ، وتألّقت عيناه فجأة ببريق عزم وقوّة ، وانتزع من طيّات ثيابه مسدّسًا ، أطلق منه رصاصة صائبة نحو الكلب ، أصابته فى رأسه تمامًا ، فعوى عواءً مخيفًا ، قبل أن يسقط جثة هامدة ، تحت قدمى

(عماد) و (عُلا) ، فى حين انطلق (عصام) خلف (ممدوح) فى حماس ، وأمسك قميصه من الخلف ، وهو يقول فى حدّة :

ــ إلى أين أيها القاتل ؟

استدار (ممدوح) فى سرعة ، ولكم (عصام) لكمة قويّة ، ولكن (عصام) غاص بجسده إلى أسفل ، وتفادى اللكمة ، ثم لكم (ممدوح) فى معدته بقوّة ، وهوى بقبضته الأخرى على فكه ، فألقاه أرضًا ، وهو يقول :

ــ انتهى الأمر أيها القاتل ، لقد انكشف كل شىء .

وأخرج (ممدوح) من ثيابه مسدّسًا صغيرًا ، صوّبه إلى (عصام) ، وهو يصرخ فى جنون :

ــ بل انتهى كل شىء بالنسبة لك أنت أيها الصحفىّ المغرور .

وفجأة انطلقت رصاصة ، أطاحت بمسدس (ممدوح) ، الذى حدّق فى وجه من أطلق عليه الرصاصة فى ذهول ، وهو يغمغم :

ــ الشاهد (توفيق) ؟!

ابتسم (عصام) ، وهو يقول فى سخرية :

ــ (توفيق) اسم مستعار أيها القاتل ، إنه الرائد (سمير) ، من المباحث الجنائية .

سقط رأس (ممدوح) على صدره فى انهيار ، وهو يغمغم فى انكسار :

ــ لقد انتهى كل شىء حقًّا .

* * *

قاد رجال الشرطة (ممدوح) إلى الخارج ، بعد أن أحاطوا معصميه بالأغلال ، وهو يبكى نهايته ، ومصرع كلبه ، فى حين التفت العقيد (خيرى) إلى ولديه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ لقد خالفتما أوامرى ، وواصلتما العمل فى هذه القضية .

أطرق (عماد) و (عُلا) برأسيهما خجلًا ، فى حين استطرد والدهما ، وهو يبتسم :

ــ ولكن النتيجة كانت رائعة ، ممَّا يدفعنى إلى أن أغفر لكما عدم طاعتكما ، على ألّا تكررًا ذلك بعد الآن .

تهلّلت أساريرهما فى سعادة ، وعانقا والدهما فى فرح ، فى حين سألهما (حسن عشماوى) فى دهشة :

ــ ولكن كيف توصلتما إلى الحقيقة ، ما دام الشاهد زائفًا؟

ضحك (عماد) و (عُلا) فى مرح ، وقالت (عُلا) :

ــ إن ما ذكره الشاهد الزائف هذا ، هو خلاصة استنتاج ترتيب الأحداث يا سيّد (حسن) .

هتف (حسن) :

ـــ ولكن كيف ؟

اعتدل (عماد) ، وقال :

ـــ سأخبرك كيف توصلت أنا وشقيقتى إلى كل ذلك يا سيِّد (حسن) .

استمع إليه الجميع فى مزيج من الاهتمام والانتباه ، وهو يقول :

ـــ فى البداية كانت أمامنا جريمة محدودة ، ذات عناصر واضحة ، وأقصد بها جريمة قتل تاجر الطوابع ، فالجريمة كلها تمّت بسبب طابع بريد ثمين ، باعه أحد هواة جمع الطوابع ، وهو يجهل قيمته الحقيقية ، كما كان هناك عميل كبير يريد شراءه ، وهنا انحصرت شبهاتنا فى واحد من اثنين ، إمّا الرجل الذى باع الطابع ، وقد علم قيمته الحقيقية فيما بعد ، وأراد استرداده ، فقتل التاجر من أجل ذلك ، وإمّا أن العميل الذى أراد شراءه ، قد امتلأت نفسه بالطمع ، وقتل التاجر من أجل الطابع ، وحينما ناقشت الأمر أنا وشقيقتى ، وجدنا أن الاحتمال الأول هو الأرجح ، إذ يتوافر فيه الشعور بالخداع ، والرغبة فى الانتقام ، وهما دافعان قويان للقتل ، بعكس الرغبة فى حيازة الطابع ، وهى دافع ضعيف .

غمغم (حسن) فى دهشة :

ـــ يا إلهى !!.. إنه يتحدّث كرجل ناضج .

ابتسم (عماد) لعبارة (حسن) ، فى حين واصلت (غلا) حديث شقيقها ، قائلةً :

ـــ وهنا وجدنا أن الشروط الواجب توافرها فى القاتل هى أنه عميل كبير ، ولكنه يجهل القيمة الحقيقية للطوابع فى الوقت ذاته ، ولقد كان هذا ينحصر شبهاتنا فى (ممدوح) ، فالسيِّد (مجدى) نائب رئيس جمعية هواة جمع طوابع البريد ، ومن الطبيعى أن يعلم قيمة الطابع الحقيقية ، كما أنك مؤلف جيِّد ، لعدد من الكتب عن الطوابع يا سيِّد (حسن) ، وهذا يجعل من السهل عليك معرفة قيمة أول طابع بريد فى العالم .

التقط (عماد) طرف الخيط من شقيقته ، وقال :

ـــ ولكن مصرع السيِّد (مجدى) ـــ رحمه الله ـــ أصابنا بالارتباك ، فلم يكن له ما يبرّره ، ما دام (ممدوح) هو القاتل ، ولقد تضاعف ارتباكنا حينما اتصل القاتل بـ (عصام) ، وحاول قتله فى سفح الهرم ، فالوحيد الذى كان يعلم بعلاقة (عصام) بتحرّياتنا هو (ممدوح) ، وهو الوحيد الذى سيحاول الاتصال بـ (عصام) ، فلو كان القاتل أنت ، لحاولت الاتصال بنا وليس بالأستاذ (عصام) .

أكملت (غلا) ، قائلةً :

ــ ولقد قادنا حديث القاتل وقلقه إلى نقطة جديدة ، ألا وهى أنه لم يحصل على طابع البريد ، الذى قتل (صادق) من أجله ، وهنا بحثنا عمَّن رأى القاتل ، وأصابنا بحثنا بدهشة جديدة ، إذ أكَّد لنا شاهد عيان حقيقى أنه رأى (مجدى) يدخل إلى المتجر ، ويخرج بعد خمس دقائق فحسب ، وحينما جلسنا نربط حلقات اللغز بعضها ببعض اتَّضحت لنا الحقيقة .

والتفتت إلى شقيقها وهى تبتسم ، فتابع حديثها ، قائلاً :

ــ لقد وجدنا أن الفترة التى قضاها (مجدى) فى المتجر ، لا تكفى للتفاوض مع (صادق) بشأن استرداد الطابع ، ثم قتله بعد ذلك ، وهذا يعنى أن اضطرابه فى أثناء خروجه من المتجر ، كان بسبب كشفه لحادث القتل ، وخوفه من أن يتورَّط فيه ، وبناءً على ذلك أخذنا نحلِّل الأمر على نحو جديد ، وتذكَّرنا وصية السيِّد (مجدى) ، حينما قلت أنت فى ثورة غضبك يا سيِّد (حسن) ، إننا لن نجد قصة مثيرة ، إذا ما انتزعنا أحد أغلفة كتبك ، وهنا تذكَّرنا أمر طابع البريد على وصية السيِّد (مجدى) ، وعلمنا أين نجد الطابع المفقود ، وكان من السهل بعد ذلك استنتاج ما حدث ، فمن الواضح أن (ممدوح) قتل

(صادق) ، فى محاولة لاسترداد الطابع ، ولكن (مجدى) وصل قبل أن يستعيد (ممدوح) طابعه ، ولقد أصيب (مجدى) بالفزع ، حينما شاهد جثة (صادق) ، وبينما كان يتراجع وقعت عيناه على الطابع ، ولقد عرفه من النظرة الأولى ، ودون أن يفكِّر فى مغبة الأمر ، سرق الطابع ، وفرَّ من المتجر ، دون أن يدرى أن قاتل (صادق) الحقيقى قد رآه ، وبعد انصراف (مجدى) كشف (ممدوح) اختفاء الطابع ، الذى ارتكب جريمته من أجله ، وأمكنه استنتاج ما حدث ، فذهب إلى (مجدى) فى اليوم التالى ، وحاول استعادة الطابع ، وحينما أنكر (مجدى) قام بقتله ، كما فعل مع (صادق) ، وأخذ يبحث عن الطابع فى عجلة ، حتى وصلنا نحن ، قبل أن يكشف هو سرّ وصية (مجدى) ، والطابع المختفى خلف الطابع التقليدىّ فوقها .

كان العقيد (خيرى) يتأمَّل ولديه فى إعجاب ، حينما هتف (حسن) فى انبهار :

ــ ولكن هذا رائع .. إنكما تفكِّران على نحو يفوق عمركما بسنوات عديدة .

ثم عقد حاجبيه ، وهو يسألهما فى اهتمام :

ـــ ولكن كيف عرفتما أننى ذهبت إلى المتجر ، ورأيت جثة (صادق) ؟

ضحكت (غلا) وهى تقول :

ـــ لقد كان الأمر بسيطا للغاية ياسيِّد (حسن) ، فمع وجود رجل يريد استعادة طابع بريد نادر ، أخطأ ببيعه ، كان هناك عميل يسعى لشراء نفس الطابع ، ولما كانت وصية السيِّد (مجدى) ـــ رحمه الله ـــ تؤكد أنه لم يكن يملك نقودًا كافية ، فقد كان من الطبيعى أن الرجل الذى ينتظره (صادق) ، للتفاوض معه بشأن الطابع هو أنت ، وأصدقك القول إننا شككنا فيك أيضًا ، حينما علمنا أنك مدين لتاجر آخر بنصف مليون جنيه ، ولكننا قدَّرنا أنك ستحاول شراء الطابع بثمن معقول ، عسى أن تتمكَّن من بيعه بثمن كبير ، يمكِّنك من دفع ديونك .

حدَّق فى وجهها بدهشة ، وهو يغمغم :

ـــ وما أدراكما أننى لم أتراجع عن ذلك ؟.. أعنى ما الذى يؤكِّد لكما أننى ذهبت بالفعل ؟

أجابه (عماد) :

ـــ لأنك كنت تعلم أمر مصرع (صادق) ، قبل أن ينتشر الأمر ، ولمَّا كان استنتاجنا يؤكد أن (ممدوح) هو القاتل ، لم يعد أمامنا من تفسير سوى أنك ذهبت فى موعدك ، وفوجئت بمصرع (صادق) ، فأسرعت بالفرار .

ساد الصمت لحظات بعد أن انتهى (عماد) من كلمته ، ثم هتف (حسن) فى حماس :

ـــ هل فعلتما ذلك من قبل.؟.. أعنى هل حللتما ألغازًا بوليسية بنفس الكفاءة ؟

تبادل (عماد) و (غلا) نظرة سعيدة ، ثم قالت (غلا) :

ـــ لقد فعلنا ذلك عشر مرات ، قبل هذه المرة ياسيِّد (حسن) .

تألَّق الإعجاب فى عينى (حسن) ، وهتف فى حماس أكثر :

ـــ إننى مستعد لشراء حق نشر مغامراتكما بأى ثمن .

ضحك (عصام) وهو يقول :

ـــ صدِّقنى ياسيِّدى ، سيقول الجميع إنك مغرق فى الخيال .

ورمق (عماد) و (غلا) بنظرة إعجاب ، وبابتسامة وُدّ ، وهو يستطرد :

ـــ ثم إننى الوحيد ، الذى يحتكر ذلك ، فأنا المتحدِّث الرسمىَ لفريق (ع × ٢) .

وأردف فى اعتزاز :

ـــ ويا له من فخر !!

* * *

١٤ ــ الختـــام ..

هتف مدير قسم الحوادث فى حماس وإعجاب :

ــ رائع يا (عصام) .. تحقيقك هذه المرة رائع .. لقد أصبحت أخشى أن تحتل مقعدى هذا بعد تحقيقين آخرين كهذا .

ابتسم (عصام) وهو يقول :

ــ صدّقنى يا سيّدى .. إننى لا أستحق كل هذا الثناء .

هتف أحد زملائه :

ــ كفاك تواضعًا يا (هولمز) العصر ، لقد أبدعت حقًا فى حلّ هذا اللُّغز ، إنه لم يستغرق منك أكثر من يومين .

مال مدير القسم على أُذن (عصام) ، وهمس فى مرح :

ــ هل رأيت ؟.. هأنتذا تلقى كل إعجاب وتقدير .

تنهّد (عصام) ، وهو يقول :

ــ هذا ما يزيد من شعورى بتأنيب الضمير يا سيّدى ، فأنا أنتزع ــ من دون قصد ــ نجاح (عماد) و (غلا) .

عقد مدير قسم الحوادث حاجبيه ، وهو يغمغم فى حيرة :

ــ (عماد) و (غلا) .. منْ هما ؟

اعتدل (عصام) ، وهو يقول فى اهتمام :

ــ إنهما الطفلان اللذان ....

قاطعه مدير القسم وهو يضحك :

ــ آه .. هل تقصد تلك القصّة ؟.. كفى يا (عصام) .. ليس من العيب أن تتفوّق هكذا .

مطّ (عصام) شفتيه فى يأس ، ثم قال فجأة :

ــ ما رأيك يا سيّدى فى أننى أريد التوقيع على التحقيقات باسم مستعار ؟

ارتفع حاجبا المدير فى دهشة ، وهو يقول :

ــ ولماذا يا (عصام) ؟

ابتسم (عصام) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ــ سيجعلنى هذا أكثر ارتياحًا .

هزّ المدير كتفيه فى تعجُّب ، وقال :

ــ لا بأس ، ما دمت ترغب فى ذلك .

ثم سأله فى اهتمام :

ــ وما التوقيع الذى تقترحه ؟

قال (عصام) فى حماس :

ـ سأوقّع التحقيقات البوليسية برمز (ع × ٢) .

اتسعت عينا المدير فى حيْرة ، وهو يقول :

ـ (ع × ٢) ؟!.. وما معنى هذا الرمز العجيب ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ـ مجرد رمز يا سيِّدى .

ابتسم المدير ابتسامة حائرة ، وقال فى هدوء :

ـ فليكن ما تريد يا (عصام) .. هذا حقّك .

ثم اعتدل وهو يستطرد فى حماس :

ـ من الآن فصاعدًا ستحمل تحقيقاتك توقيع (ع × ٢) .. هل يرضيك ذلك ؟

اتسعت ابتسامة (عصام) ، وحملت كل ما فى صدره من ارتياح ، وهو يقول :

ـ تمام الرضا يا سيِّدى ، فبهذا فقط يعود الفضل إلى صاحبه الحقيقى بل إلى صاحبيه .

وتنهّد وهو يستطرد فى حماس :

ـ إلى فريق (ع × ٢) .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع/ ٣٥٤١

المؤلف

د. نبيل فاروق

قضية جامع الطوابع

- تاجر طوابع يلقى مصرعه على نحو غامض عنيف. من أجل طابع بريد نادر. يبلغ ثمنه مليون جنيه. ويحاول فريق (ع × ٢) مع صديقهما الجديد الصحفى (عصام) حل لغز الحادث، ومحاولة الإيقاع بجامع الطوابع القاتل.
- ترى.. كيف يحل فريق (ع × ٢) لغز هذه القضية الجديدة ؟
- اقرأ التفاصيل. وحاول أن تسبق (عماد) و (غلا) إلى حل اللغز.

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الثمن فى مصر ... جنيه
وما يعادل دولارا
فى سائر الدول العربية

العدد القادم
(قضية لاعب الكرة)